أبدية التوراة، عند فلاسفة اليهود
في العصور الوسطى،
يوسف ألبو، أنموذجًا

دراسة تحليلية نقدية

دكتور

محمد عبد العظيم الشرنوبي حُسين عيد

مُدرس بقسم اللغة العبرية وآدابها

كلية اللغات والترجمة

جامعة الأزهر

القاهرة

﴿بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾

أبدية التوراة، عند فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، يوسف ألبو، أنموذجًا، دراسة تحليلية نقدية

محمد عبدالعليم الشرنوبي حُسين عيد

قسم اللغة العبرية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الالكتروني: sharnopy@azhar.edu.eg

الملخص :

ناقش كثير من فلاسفة اليهود في العصور الوسطى؛ مسألة أبدية التوراة الموسوية، وأنها لن تتبدل بكتاب سماوي آخر، أي أنها لن تُنْسَخ، لكن كان لـ"يوسف ألبو"، رأيًا فريدًا، يخالف رأي كل من ينتمي إلى اليهودية؛ في مسألة "أبدية التوراة"؛ حيث قال بجواز نسخ التوراة بأخرى، لا سيما وأن كثيرًا من الشرائع السابقة عليها؛ قد نُسخت، في حين يرى معظم فلاسفة اليهود، مثل قريسقس، وابن ميمون، تحريم نسخها، مستدلين على ذلك، ببعض فقرات من التناخ. وعلى الرغم من ذلك؛ فقد تم تفسير رأي "ألبو"؛ أنه يكمن فيه؛ أبدية التوراة الموسوية؛ لذلك يناقش البحث، رأي "يوسف ألبو"، في أبديتها، ويركز على عرض وجهة نظر يوسف ألبو، من خلال المصادر المدونة باللغة العبرية، ولذلك يُعدُّ البحث مدخلاً مُهمًا، للباحثين في الفلسفة اليهودية، في العصور الوسطى.

الكلمات المفتاحية: فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، يوسف ألبو، أبدية التوراة الموسوية.

The Eternity of the Torah, According to Jewish Philosophers in the Middle Ages, Yusuf Albo, As A Model, A Critical Analytical Study

Mohammed Abdel-Aleem El-sharnouby

Hebrew Department, Faculty of Languages and translation, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: sharnopy@azhar.edu.eg

Abstract:

Many medieval Jewish philosophers discussed; The issue of the Eternity of the Moses Torah "Law", and that it will not be changed by another heavenly book, but "Joseph Albo" had a unique opinion, which contradicts the opinion of everyone who belongs to Judaism; On the issue of "the eternity of the Torah "Law"," where he said that it is permissible to copy the Torah by another, especially since many of the Laws that preceded it; was copied, while most of the Jewish philosophers, such as Crescas and Maimonides, view it as prohibited of copying, cites for this by some passages of the Old Testament. Although it; Albo's opinion has been interpreted; as it contains; the eternity of the MosesTorah "Law". Therefore, the research discusses the concept of the Torah, its distortion, and the opinion of "Joseph Albo" in its eternity, and focuses on presenting the point of view of Joseph Albo, through the sources written in the Hebrew language, and therefore the research is an important preface for researchers in Jewish philosophy in the middle Ages.

Keywords: medieval Jewish philosophers, Joseph Albo, the Eternity of the Moses Torah "Law".

مقدمة

بُعث موسى عليه السلام، لتخليص بني إسرائيل من بطش فرعون والمصريين، وأعطاه الله الشريعة المقدسة، متمثلة في التوراة[١] بأسفارها الخمسة، ولم ينسخ الشريعة التي أمر الله بها الأُمم من لدُن آدم ونوح عليهما السلام، ولم ينسخها، ولكن أكد الوصية بها، بما تشتمل عليه من وصايا، وصّى الله بني إسرائيل، على لسان موسى النبي عليه السلام، وكان من أهمها؛ اعتقاد التوحيد وترك عبادة الأصنام، وحُصرت أوامر التوراة ونواهيها في ستمائة وثلاث عشرة وصية. واعتقد بنو إسرائيل، أن التوراة لا تُنسَخ ولا تُبَدَّل بغيرها وأنها باقية للأبد، مستندين في ذلك، إلى نصوص كثيرة وردت في التوراة، كما أن الإيمان بعدم نسخ التوراة الموسوية، وبقائها إلى الأبد، من الأشياء المعلومة من الدين الموسوي بالضرورة.

وقد تناول عدد من فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، مسألة أبدية التوراة؛ أذكر منهم على سبيل المثال، لا الحصر؛ الحاخام حسداي قريسقس[٢]، في مؤلفه "نور الرب" "אור ה׳"، في الفصول؛ الثاني، والثالث،

---

[١] التوراة "תּוֹרָה": أسفار موسى الخمسة، وهي الأسفار الأولى من التناخ (التوراة، والأنبياء، والمكتوبات)، ويُطلَق على التوراة، في اللغة الآرامية؛ مُسمى אורייתא. ومعناها: تعليم، إرشاد؛ وتشتمل على أحكام الإله الواردة في شريعة النبي موسى عليه السلام. والتوراة، هي الكتاب الذي أعطاه موسى لبني إسرائيل، بعدما تلقاه من الإله، وذلك كما ورد في التوراة: "וְזֹאת, הַתּוֹרָה, אֲשֶׁר-שָׂם מֹשֶׁה, לִפְנֵי בְּנֵי יִשְׂרָאֵל". وَهٰذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ الَّتِي وَضَعَهَا مُوسَى أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. التثنية ٤/٤٤، יהודה דוד אייזענשטיין: אוצר ישראל אנציקלופידיא, חלק י׳, עמ׳ 237.

[٢] حسداي قريسقس: يُسمى في اللغة العبرية "חסדאי קרשקש": ويسمى في الإنجليزية "Crescas"؛ هو فيلسوف ومرشد ديني يهودي في الأندلس، عاش خلال القرن

==

والخامس، ويوسف ألبو[1] في مؤلفه "كتاب الأركان" ״ספר העקרים״، في الباب الثالث، في الفصول من الثالث عشر حتى الثامن عشر، وسعديا جاؤون[2] في المقالة الثالثة، في مؤلَّفه "كتاب الأمانات والاعتقادات" ״ספר האמונות והדעות״، وموسى بن ميمون[3]، في "مشنيه توراة" ״משנה

==

الرابع عشر الميلادي. وألّف عدة مؤلفات عِدّة، كان من أبرزها "تفنيد أركان عقيدة النصارى" "ביטול עיקרי דת הנוצרים" الذي دوّنه سنة ١٣٩٨م، حيث أظهر فيه اعتراضه على أركان العقيدة المسيحية، حيث قال إنها تتعارض مع العقل الإنساني، والعدل الإلاهي، وذاع صيت قريسقس، من خلال مؤلَّفه "نور الرب" ״אור השם״، حيث شرح فيه منهجه الفلسفي، وسعى في هذا المؤلّف إلى إيجاد بديل؛ لأركان العقيدة التي وضعها ابن ميمون. עיין: יהודה דוד אייזענשטיין : אוצר ישראל אנציקלופידיא, ניו יורק , תרע״ג, חלק ט׳, עמ׳ 237.

[1] سأستعمل اللقب: ألبو، بدلاً من الاسم الكامل: يوسف ألبو، على مدار البحث.

[2] سعديا جاؤون ״סעדיה גאון״: يُسمى "راب سعديا بن يوسف"، ويسمى في اللغة العبرية ״רב סעדיה בן יוסף״، ويُطلق عليه العرب مُسمى "سعديا الفيومي" ״סעדיה אל-פיומי״؛ كان "سعديا" أحد نوابغ "سورا" وُلد في بلدة "ديص" في مدينة الفيوم في صعيد مصر، سنة ٨٩٢م، وتوفي في "سورا" سنة ٩٤٢م. ومن أبرز مؤلفاته "كتاب الأمانات والاعتقادات" الذي ألفه باللغة العربية. עיין : אוצר ישראל, חלק ז, עמ׳ 231.

[3] موسى بن ميمون: מימוני, משה בן ר׳ מימון הספרדי, רמב״ם: هو موسى بن الحاخام ميمون الأندلسي، ويُطلَق عليه اختصارًا مُسمى "رمبم" ׳רמב״ם׳. وُلد في قرطبة في الأندلس، سنة ١١٣٥م، وتُوفي في مدينة الفسطاط في مصر، سنة ١٢٠٦م، وقُبر في طبرية. وتعلم التوراة في صباه على أبيه، الذي كان عالمًا كبيرًا بالشريعة والتلمود، وكان تلميذًا للحاخام يوسف اللاوي. אוצר ישראל, חלק ו׳, עמ׳ 176. إن شخصية ابن ميمون، معروفة في الأساس كمفكرٍ؛ يُعدُّ كبير المفكرين في الفلسفة. עיין: ישעיהו ליבוביץ : אמונתו של הרמב״ם, ספרית ״אוניברסיטה משודרת״, הוצאת
==

תורה"، الجزء الخاص بأحكام التوبة، في الباب الثالث، لذا سيركز البحث، على عرض رأي "يوسف ألبو"، في المسألة قيد المناقشة.

مشكلة الدراسة

انفرد "يوسف ألبو"، برأي يخالف كل من ينتمي إلى الديانة اليهودية؛ في مسألة "أبدية التوراة"، فقال بجواز نسخ التوراة بأخرى، وذلك في بداية مناقشته لمسألة أبدية التوراة؛ لا سيما وأن كثيرًا من الشرائع السابقة عليها، قد نُسخت، منتقدًا رأي كلٍّ من سعديا جاؤون، وموسى بن ميمون، ومؤَوِلاً الألفاظ الدالة على أبدية التوراة، التي استشهد بها غيره من الفلاسفة؛ بمعانٍ أخرى، من شأنها أن تجيز نسخ التوراة. ويتبين من استقراء المؤلفات العبرية، في هذا الصدد؛ قول فلاسفة اليهود جُملة واحدة؛ بأبدية التوراة الموسوية، وعدم جواز نسخها، بينما انفرد ألبو، برأي يخالف كل من ينتمي إلى اليهودية؛ لذلك اخترتُ تناول مسألة أبدية التوراة، عند يوسف ألبو؛ موضوعًا للدراسة.

أهمية الدراسة

تفتقر خزانة المكتبة العربية؛ إلى دراسات عن أبدية التوراة عند فلاسفة اليهود، في العصور الوسطى؛ لذلك تُعدُّ هذه الدراسة مدخلاً مُهمًا، للباحثين في الفلسفة اليهودية في العصور الوسطى، بصورة عامة، وأبدية التوراة عند يوسف ألبو، بصورة خاصة، كما أنها قد تساعد الباحثين؛ المشتغلين بمقارنة

==

משרד הבטחון, תל-אביב, 1985, עמ' 2. وسأستعمل اللقب: ابن ميمون، بدلاً من الاسم الكامل: موسى بن ميمون، على مدار البحث.

الأديان؛ في العمل على التوسع، في دراسة مثل هذه الموضوعات لاحقًا؛ لا سيما وأنها تعالج قضية خاصة بكتاب سماوي.

أهداف الدراسة

١. الكشف عن الدور الذي قام به الفيلسوف اليهودي "يوسف ألبو"؛ للدفاع عن العقيدة اليهودية.
٢. الإيمان بأبدية التوراة.
٣. رأي يوسف ألبو، في مسألة أبدية التوراة.
٤. جواز نسخ التوراة.

الدراسات السابقة: لم أعثُر على دراسة واحدة؛ ناقشت أبدية التوراة، عند فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، بصورة عامة، وعند يوسف ألبو بصورة خاصة.

منهج الدراسة: سأستعمل؛ المنهج التحليلي النقدي، في مناقشة مسألة أبدية التوراة، عند يوسف ألبو بصورة خاصة، من خلال ما ورد في المصادر العبرية، مع نقد الآراء التي أرى أنها بحاجة إلى نقد.

حدود الدراسة: سيُركز البحث؛ على مناقشة أبدية التوراة، عند فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، يوسف ألبو، أنموذجًا، دراسة تحليلية نقدية، مع التركيز على ما ورد في المصادر العبرية، التي تطرقت للمسألة قيد البحث؛ لأن أساس مناقشة هذه المسألة، يكمن في نقل ما كُتِبَ باللغة العبرية؛ بدقة للغة العربية، في إطار علمي، يقوم عليه البحث، فضلاً عن استعمال المصادر العربية.

صعوبات الدراسة

١. ندرة المصادر العبرية والعربية، التي تهتم بمناقشة أبدية التوراة، في العصور الوسطى.

٢. صعوبة ترجمة المصادر العبرية، التي تناقش مسألة أبدية التوراة؛ لقدم بعضها، وعدم وجود أجزاء بعينها في المصادر العبرية المتاحة، عرضت لمسألة أبدية التوراة، ولكن المصادر العبرية، تعرض للمسألة فيما بين السطور.

٣. صعوبة وضع تصور شامل للبحث، على الرغم من طُروء الفكرة، على مخيلتي، منذ عِقد من الزمان.

محاور الدراسة

ملخص البحث باللغتين العربية، والإنجليزية.

المبحث الأول: يوسف ألبو، ودوره في الدفاع عن الشريعة اليهودية.

المبحث الثاني: الإيمان بأبدية التوراة.

المبحث الثالث: نسخ التوراة، عند يوسف ألبو.

المبحث الرابع: التغييرات التشريعية دليل على جواز النسخ.

أهم نتائج البحث.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: يوسف ألبو، ودوره في الدفاع عن الشريعة اليهودية

الحاخام "يوسف ألبو"؛ فيلسوف وباحث في ديانة بني إسرائيل، ومؤلف "كتاب الأركان"؛ وُلِد في الأندلس، سنة ١٣٨٠م، وتُوِّفيَ سنة ١٤٤٤م تقريبًا. كان طبيبًا، ومُفسِّرًا، فتلميذًا للحاخام "حسداي قريسقس"، وأحد الحكماء الذين دُعوا للنقاش في الجدل أمام البابا الثالث عشر، سنة ١٤١٣م في مدينة طرطوسة[١] "טורטוסה"، وتوجد إشارة لذلك الجدل في كتابِهِ، بقوله: "أنصت إليّ حكيم من الحكماء"، وكان من الحكماء الذين عارضوا رأي القائلين إننا غير مسئولين عن مقالات الحكماء التي تتحدث في مسألة "المسيح عيسى"[٢]. والتفاصيل المعروفة لدى الباحثين، عن "يوسف ألبو"؛ قليلة إلى درجة كبيرة، لكن يتضح من خلال المصادر المتوفرة؛ أنه عاش في إسبانيا المسيحية، وتولى منصب حاخام للطائفة اليهودية "داروقا"

---

[١] طرطوسة: يُطلَق عليها في اللغة العربية مسمى طرطوشة، لكنها تُكتب في اللغة العبرية بحرف السين سامخ، لذا تُترجم إلى طرطوسة بالسين، وهي إحدى مدن منطقة قطالونية في إسبانيا وجدال طرطوسة: هو الجدال الذي دار في الفترة ما بين ١٤١٤-١٤١٣م في مدينة طرطوسة في الأندلس، بين اليهود والنصارى في العصور الوسطى. وقد شارك فيه من الجانب اليهودي: פרופייט דוראן האפודי, רבי יוסף אלבו ותלמידי חכמים נוספים כרבי זרחיה הלוי, רבי מתתיהו היצהרי, רבי משה בן עבאס ורבי אסטרוק הלוי، חנוך הויזדארף, وكان كل واحد من هؤلاء اليهود، مُمثلاً لطائفة من طوائف اليهود. אוצר ישראל, חלק ב׳, ערך: אלבו, יוסף, עמ׳ 5; יצחק בער, תולדות היהודים בספרד הנוצרית, מהדורה ב׳, תל אביב: עם עובד, 1959, עמ׳ 326.

[٢] יוסף אלבו: ספר העיקרים, ויניציאה, 1544, מ״ג, פ״כה.

"דארוקה"، في إقليم سرقسطة[١]، وسوريا[٢]، في إقليم قشتالة الإسبانية، كما أنه اكتسب قليلاً من الأفكار في مجال الفلسفة وعلم الأديان، وشارك في الجدل الكبير بين ممثلي الطوائف اليهودية في الأندلس، واليهود المرتدين عن اليهودية، الذي وقع في "طرطوسة"، أمام قيادة الكنيسة الإسبانية، في الفترة ما بين ١٤١٣-١٤١٤م[٣].

دوّن ألبو نتاجه العام، في علم أصول الدين اليهودي في العصور الوسطى، في مؤلفه؛ كتاب الأركان "ספר העיקרים"؛ لكن المعلومات عن سيرته قليلة جدًا، ويحكي ألبو، أنه كان تلميذًا للحاخام "حسداي قريسقس"، فأخذ عنه علمًا وفيرًا[٤]؛ ويقول الحاخام "أبربنيئيل"[٥]: إن ألبو تعلم على يد

---

[١] סאראגוסה: سرقسطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م، ج ٣، ص ٢١٢.

[٢] وردت في الأصل: סוריה بالسامخ. وُكتبت بين قوسين بالسين/شين، هكذا: שוריאה.

[٣] אליעזר שביד: ספר העיקרים לר' יוסף אלבו, ספריית 'דורות', ירושלים, 1967, עמ' 7.

[٤] ספר העיקרים, מהד' הויזיק, א, כו.

[٥] أبربنيئيل: يتسحاق بن دافيد بن يهودا : اسمه باللغة العبرية: 'יצחק בן דוד יהודה'، ويُطلَق عليه اختصارًا 'אַבְּרַבַנְאֵל': حاخام، ومفسِّر للتناخ، وُلِدَ في "لشبونة" سنة ١٤٣٧م، وتُوفِيَ في "البندقية"، وقُبِرَ في "بدوآه" سنة ١٥٠٨م. ألَّف كُتُبًا جمّة؛ من أبرزها: تفسير التوراة، وقد نشره في "البندقية" سنة ١٥٧٩م، وتفسير الأنبياء الأوائل سنة ١٥١١م، والأنبياء المتأخرين ١٥٢٠م، كما فسَّرَ سفر يونس "يونا" سنة ١٦٨٣م. [אוצר ישראל אנציקלופידיא, חלק א', עמ' 80:83]؛ سأستعمل الاختصار: أبربنيئيل، على مدار البحث.

كثير من فلاسفة اليهود حينئذ[1]. وقد مثَّل الطائفة اليهودية في "دروقا"، التي تقع في الجنوب الغربي لسرقسطة في أرجون– في جدال طرطوسة [١٤١٣–١٤١٤م]، ويشير ألبو نفسه؛ إلى أنه دوّن المقال الأول من كتاب الأركان، عندما كان غربي سرقسطة، في قشتالة[2].

كتاب الأركان

طُبع كتاب الأركان ״ספר העיקרים״، للمرة الأولى سنة ١٤٨٥م، ثم طُبعت طبعة جديدة من الكتاب، تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية، متضمنة خمسة مجلدات، في "فيلادلفيا"، سنة ١٩٢٩م، وقد ناقش كثير من الباحثين، إسهامات "ألبو" في الفلسفة اليهودية بصورة عامة، بيد أن بحث منهجه في أركان العقيدة اليهودية؛ كان قليلاً[3]. ويُعدُّ كتاب الأركان مثل كتاب "نور يهوه" لحسداي قريسقس؛ مُلَخصًا موجَزًا لأبحاث دينية وفلسفية، ومُرتَّبًا استنادًا لمنهج الأركان عند مؤلِّفه. لكن في حين أن بناء مؤلَّف "نور يهوه" عند قريسقس، حُدِّدَ وفق منهج الأركان خاصته، فإن مضمون الكثير لدى ألبو؛ خُصص لدراسات جوهرية لبحث مسألة "أركان العقيدة" ״עיקרי האמונה״.

يستهل ألبو دراسته لهذه المسألة، بتأييده الفلسفة، بقوله "إن النجاح الإنساني، متوقف على المعرفة الفلسفية، فضلاً عن الأعمال الجديرة

---

(1) ראש אמנה, הקדמה, הוצאת תל-אביב, 1956, עמ׳ 9; אברהם זכות, ספר היוחסין השלם, מהד׳ פיליפובסקי, 1857, עמ׳ 226.

(2) יצחק בער, היסטוריה של היהודים בספרד הנוצרית, מהדורה ב׳ מתוקנת ומורחבת, תל אביב: עם עובד, תשי״ט 1959, עמ׳ 50.

(3) אלעזר שביד: בין משנת העיקרים של ר׳ יוסף אלבו למשנת העיקרים של הרמב"ם, תרביץ, תשרי, 1964, עמ׳ 74.

بالدراسة"[١]، لكن العقل الإنساني وحده، لا يمكن أن يحدد بصورة قاطعة، ماهية الأعمال الحقيقية، والأعمال التي يجب مدحها[٢].

وسبيل النجاح؛ يتمثل في الإرشاد الإلهي الصحيح، الذي يتوقف نجاح الإنسان عليه، ويشترط لنجاحه؛ معرفة الدين الإلهي الحقيقي من بين الأديان السماوية الموجودة، ولكي يحدَّد أي دين إلهي، ينبغي أن يضع توصيفًا دقيقًا للأركان، التي لا يكون وجود للدين الإلهي، دون وجودها. وعلى الرغم من أن محتوى كتاب الأركان متنوع، لكن يتبين أن الهدف الدفاعي، واضح فيه منذ البداية، فلا يهدف إلى عرض أركان العقيدة الدينية الإلهية بصورة عامة فقط، وإنما هو بمثابة دفاع عن العقيدة اليهودية[٣].

يتبين مما سبق، أن ألبو ألّف كتاب الأركان في الأساس؛ من أجل الدفاع عن الديانة اليهودية، لا لأجل مناقشة قضية أركان العقيدة اليهودية، فقط.

يرى ألبو[٤]، أن شريعة موسى فقط، تناسب جميع معايير الدين الإلهي[٥]؛ لهذا؛ يحاول كتاب الأركان، تفسير أركان العقيدة الإلهية بصورة عامة، ويؤدي إنكار هذه الأركان إلى إفساد الدين بصورة عامة، وليس الدين الإلهي فقط. ومن أجل تحديد الأركان العامة للدين الإلهي، يقترح ألبو أن يفحص مضمون، الشيء الوحيد المُتفق عليه، ولا يشوبه أي خلاف، كدين

---

(١) ספר העיקרים א, עמ׳ 1.

(٢) שם, א, ח.

(٣) מנחם קלנר: תורת העיקרים בפילוסופיה היהודית בימי הביניים, הוצאת הילל בן חיים, ירושלים, ישראל, 1991, עמ׳ 112.

(٤) מאמר א, פרק כ

(٥) מנחם קלנר: תורת העיקרים בפילוסופיה היהודית בימי הביניים, עמ׳ 112.

إلهي، وهو "توراة موسى"[١]. ويُظهر بحث ألبو؛ اشتمال شريعة موسى، على سمات معينة، هي بمثابة دليل لجميع الأديان الإلهية، وتشتمل على أركان عامة تلائم كونها إلهية، وأركان يكمن فيها تفرُّدها عن غيرها. ويُطلَق على الأركان الرئيسية؛ "أركان" "עיקרים"، أما الأركان الفرعية، فتُسَمَّى "فروع" "ענפים". فالأركان الفرعية تُزاوج الأركان العامة، وتتفرع عنها، كما أن وجود الفرع؛ يتوقف عليه وجود الأصل[٢]، ويرى ألبو أن الدين الإلهي، يشتمل على ثلاثة أركان أساسية أو عامة: وجود الإله، والتوراة من السماء، والثواب والعقاب.

ولا يحاول ألبو من البداية أن يثبت أنها أركان أساسية، وعامة، لكل دين إلهي في الحقيقة. وبالفعل، يعرض لهذه الأركان الثلاثة بهذه الكلمات: "إن الطريق الصحيحة، التي تبدو لي في عدّ هذه الأركان؛ هي أركان فرعية، وأساسية للشريعة الإلهية؛ ومن ثم فالأركان العامة والضرورية للتوراة الإلهية ثلاثة[٣]؛ وهي بمثابة بدايات للدين الإلهي، لأنه في حال آمنا بوجود الله، وعدم وجود شريعة من السماء، لا يمكن أن يكون هناك ثواب وعقاب جسدي في الدنيا، أو نفسي في الآخرة"[4].

وفي إطار تحليل الدين الإلهي وأركانه، يقول ألبو: إن الأركان الثلاثة العامة: وجود الله، والتوراة من السماء، والثواب والعقاب؛ لا توجز كل الاعتقادات التي يجب على الإنسان التمسك بها، لكي يكون مؤمنًا بالدين الإلهي، بالمفهوم الشامل للكلمة، ومن أجل الفوز بنصيب في الآخرة، ولكن

---

(١) ספר העיקרים א יא, עמ' 100.

(٢) שם א יא, עמ' 37-38.

(٣) שם שם.

(4) שם שם.

من يعترف بها لا يكون له نصيب في الآخرة، إلا أن اعترف بها وبالفروع المنبثقة عنها، وكل من ينكر أحد هذه الأركان الأصلية، يكون كافرًا بأحد الأركان الفرعية المتشعبة عنه(١).

ويستمر ألبو في تحليل بعض النماذج التي قد تكون ضد رأيه(٢)، فضلاً عن نقد عدة أركان، من أركان العقيدة عند ابن ميمون(٣)، ثم يختتم الفصل بعدما أوضح، ما يمكن أن يُعدُّ ركنًا أساسيًا أو فرعيًا، لكن دون البَتّ في الاعتقادات التي ينبغي أن تُحدد، أركانًا متشعبة من أركان أخرى، أو أنها فرعية، ثم يستهل ألبو كلامه، بعمل مسح للأركان الفرعية أو الثانوية؛ بقوله: "إن الأركان الفرعية المنبثقة عن الأركان الثلاثة التي ذكرناها، وتتوقف عليها؛ ثمانية: فمن الركن الأول؛ وجود الله يتشعب أربعة أركان فرعية، تشتمل على كل الأمور المتوقفة على وجود الله، لأنه واجب الوجود؛ هي: الوحدانية، ونفي التجسيم عن الإله، أو كونه قوة في جسم، وأن وجوده غير متوقف على زمن، وأنه مُنَزَّه عن النقائص(٤). والأركان الفرعية، المنبثقة عن الركن الثاني؛ التوراة من السماء؛ ثلاثة: معرفة الإله، والنبوة، وبعثة النبي. والركن الثالث؛ الثواب والعقاب، فهو الركن [الفرعي] السابق عليه، والواجب

---

(١) ספר העיקרים א יג.

(٢) אוהב משפט ג א.

(٣) انتقد ألبو، ابن ميمون، في مواضع كثيرة من كتابه الأركان؛ منها : א א עמ' 44, א ג עמ' 64 ; א יד עמ' 124 ; א טו עמ' 132، كما انتقد حسداي قريسقس، في مواضع، منها: א טו, עמ' 186 ; א כג, עמ' 186. ويقوم هذا النقد على فهم مصطلح "رُكن" "עיקר".

(٤) ספר העיקרים א טו

له بالضرورة هو العناية"[١]. ويُخصص ألبو جزءًا كبيرًا من الفصل الخامس عشر، من أجل عرض العلاقة بين الأركان الثمانية الفرعية "الثانوية"، والأركان الثلاثة الأساسية[٢].

مما سبق، يتبين أن ألبو، اتبع منهجًا فريدًا في عرضه لأركان العقيدة اليهودية، حيث قسمها إلى أركان أصلية، تنبثق عنها أركانٌ فرعية، ويرى أن العقيدة اليهودية هي العقيدة الصحيحة، التي تقوم على أركان تُثبت أن الديانة اليهودية، هي الحقيقية، دون سواها.

الجدل اليهودي المسيحي، في طرطوسة

ارتسم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي؛ محاولات صياغة قالب ديني جديد، يكون خاصًا بالفكر الديني، ونمط الحياة الدينية لدى اليهود، ويقوم على أساس وجود أخطار للأرسطاطالية المتطرفة، وصيانة العقيدة اليهودية من قبول أي اعتقادات من الديانات الأخرى، وربما بسبب التأثير المباشر، وغير المباشر للفكر المسيحي، في ذلك الجيل، وكان المِقدام، والمصدري بين تلك التجارب؛ كتاب "نور يهوه" 'אור השם'، للحاخام "حسداي قريسقس"، مُعلم الحاخام "يوسف ألبو". حيث وجَّهَ "قريسقس" نقدًا مُمنهجًا، ضد الطبيعة الأرسطاطالية، وذلك من أجل تقويض سُلطة أرسطو، بالإضافة إلى إثبات؛ أنه بواسطة العقل لا يمكن أن نُثبت إلا وجود الإله، إلا أن معرفة إرادته وحُسنه، من المُستبعَد أن تكون إلا عن

---

(١) שם שם.

(٢) מנחם קלנר : תורת העיקרים בפילוסופיה היהודית בימי הביניים, עמ' 113.

طريق الوحي الإلهي، ثم تبع ألبو منهج معلمه، من خلال كتابه الأركان؛ وذلك لجدال المسيحية، في مسألة أبدية التوراة[١].

وكان الجدل في طرطوسة، حدثًا مُهمًا إلى درجةٍ كبيرةٍ، في تاريخ يهود إسبانيا المسيحية، إلى أن تقوضت فيها أغلب الطوائف في قشتالة، و"أرجون" אראגוניה، وسبق هذا سلسلة طويلة من المجادلات أو المُحاجّات العلنية، وكُتُب الجدل، وخطابات تحريض، وحوادث دامية، خلال القرن الرابع عشر، وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين، حاولت الكنيسة خلالهما؛ تقويض اليهودية الإسبانية، وإخضاعها؛ طوعًا أو كرهًا إلى بِرْكة التنصُّر[٢].

كما كان خلال ذلك الجدل؛ علامة بارزة للإثارة الداخلية، الثقافية، والدينية، ليهود الأندلس، حاول الجانب النصراني؛ إثبات حقيقة النصرانية، من خلال النصوص التناخية، ومن أقوال الأحبار، والوصايا التي تحُضّ على قبول الديانة المسيحية بواسطة اليهود، نتيجة لضرورة تحُضّ عليها ديانتهم.

إن مزاعم الجانب المسيحي كانت مترعة بما ينبيء عن الاستخفاف باليهود، ولم يسمح لأصحاب الردود من اليهود؛ بالرّد الدفاعي، على أركان الشريعة النصرانية، كما لم يسمح لهم بإبداء وجهة النظر اليهودية بتمامها، وتأسيسها على أركان خاصة بها، فلم يسمح لهم إلا بالدفاع، والإجابة عما وُجِّهَ إليهم من أسئلة. وفي الحقيقة؛ فقد صنعوا هذا الأمر بمهارة، وفي بعض الأحيان بألمعيّة مُدهشة، إلا أن الخوف قد لوحظ في جميع كلامهم، حيث إنهم لم يخرجوا، من الإطار المفروض عليهم، وقد انتهى الجدل؛ بالفشل؛

---

[١] אליעזר שביד: ספר העיקרים לר׳ יוסף אלבו, עמ׳ 12.
[٢] שם, עמ׳ 7.

فتبعه الارتداد الجماعي، وبصورة خاصة في محافل المثقفين من اليهود، حيث سيطر اليأس عليهم، وكسر معارضتهم، وقد دُوِّن كتاب الأركان بعد هذا الجدل؛ لإرساء أركان ثابتة؛ تقوم عليها العقيدة اليهودية، وتلخيص الردود عن مزاعم المُحاجِّين النصارى، وهي المزاعم التي كانت في ذلك الجيل، تبدو مشكلة جسيمة ومُضِرّة للمُثقف والمفكر اليهودي على السواء[١].

الدفاع عن الشريعة اليهودية

تمثل دور "يوسف ألبو"، في الدفاع عن التوراة الموسوية؛ في صياغة مؤلفه "كتاب الأركان"، الذي يُعدُّ إنتاجًا انتقائيًا، يضم قطوفًا مختارة، تناقش مسائل مهمة، وأن فهمه الصحيح، يوصل الباحث فيه؛ إلى معلومات جمة عن العقيدة اليهودية[٢]. وكان الهدف الذي وضعه نُصب عينيه، تأسيس تشريع الأركان، وخاصة التي تهتم بالتوراة الموسوية، حيث رأى فيه حلاً أساسيًا، للمشكلات التي ضايقته كمُفكر يهودي يقظ لما يجري حوله ضد الفكر اليهودي لدى أبناء عصره من المفكرين، فضلاً عن إدراكه بالمِحن الداخلية والخارجية التي واجهت الفكر اليهودي حينئذ. ما طبيعة المُشكلات التي أزعجت "ألبو"؟ كانت فترته؛ مرحلة تحوُّل في الفكر الديني اليهودي. وبدلاً من التعقُّل الديني الذي ميَّزَ الفترة القديمة، فقد حلّ فكر مُحافظ إلى حد كبير، ومتوقف على التقليد الديني اليهودي، لكن على الرغم من معارضة بعض فلاسفة اليهود، مثل قريسقس؛ المنهج الفلسفي الأرسطالي، الذي تطور في أحضان الإسلام، وفي غيره من البلدان، فقد ظلَّ الفلاسفة المحافظون

---

(١) שם שם.

(٢) י. גוטמן: דת ומדע, הוצאת הספרים ע״ש י.ל.מאגנס, ירושלים, תשט״ו, עמ׳ 54.

على اتباعهم للنهج الأرسطالي مثل ابن ميمون؛ يؤيدون الفكر الأرسطالي؛ فتوصلوا إلى كثير من الأفكار الخاصة بهم، من خلال كتابات الفلاسفة الذين عارضوهم، وكان هذا نتيجة لاشتداد حدة الصدام مع المسيحية من جانب، ومؤيدي الأرسطالية من تلاميذ ابن ميمون من الجانب الثاني[١].

وكانت يهودية الأندلس في تلك الفترة، واقعة بين مطرقة إغواءات الارتداد عن العقيدة اليهودية من الخارج، من قِبَل الذين لا يعيشون في الأندلس، من المسلمين والمسيحيين، وسندان فتور الشريعة من الداخل، وهو الأمر الذي حفَّزَ ألبو –الذي لم يكتف بما قرأه عند ابن ميمون– فمهّد طريقًا جديدة، بواسطة صياغة أركانٍ للعقيدة، تركز على الدفاع عن العقيدة اليهودية، في جدالها مع المعتقدات الأخرى. لكن تشريع الأركان عند ألبو، يتفرد عن غيره، خاصة عند مقارنته بالتقليد اليهودي السابق عليه، في مسألة صياغة أركان العقيدة اليهودية، وبصورة خاصة، أمام فلسفات ابن ميمون، وليفي بن جرشوم[٢]، وحسداي قريسقس، والمواعظ الحديثة، الخاصة بالجدل اليهودي–

---

[١] אלעזר שביד : בין משנת העיקרים של ר׳ יוסף אלבו למשנת העיקרים של הרמב"ם, תרביץ, תשרי, 1964, עמ׳ 74-75.

[٢] ليفي بن جرشوم: ليفي بن جرشون ״לוי בן גרשון״: يُسمى أيضًا "جرشوني" "גרשוני"، ويُدوَّن الحرف الأخير من اسم أبيه، بحرف الميم، ويسمى "جرشوم"، وأحيانًا، يُدوَّن بحرف النون، فيُسمى "جرشون". كما يُطلَق عليه أحيانًا مُسمى "ليون" "ליאון"، ووفق المصادر التاريخية ذات الصلة، فإن اسمه: ليفي بن جرشون بن سليمان. كان نسيبًا لموسى بن نحمان، وكان ممن قطن قشتالة. وقيل إنه كان حفيدًا لـ"ليفي بن حاييم هكوهين". وهو فيلسوف، ومفسر لنصوص التناخ، وطبيب، ومُهندس، وُلِدَ في مدينة "بانيولاس" في فرنسا، سنة ١٢٨٨م، وتُوفِيَ سنة ١٣٤٤م، وقيل إنه توفي سنة ١٤٧٠م. وبدأ في دراسة الفلسفة، وكان عمره سبع عشرة سنة. ومن أبرز مؤلفاته؛ "ملحاموت ==

المسيحي، بالإضافة إلى الجدل الدائر حول المنهج الفلسفي الأرسطالي؛ فتوصل ألبو إلى صياغة تشريع أركان العقيدة الخاص به؛ وعلى الرغم من أنه بمثابة تقليد لابن ميمون، لكنه كان نواةً للجدل ضد المسيحية، وعلاجًا لفتور منهج الحياة الدينية في كنف الفكر اليهودي في الأندلس، كما أنه يسهم في بناء الشريعة اليهودية، على أركان من شأنها أن تُفرق بينها وبين المسيحية والإسلام(١).

يتبين مما سبق؛ أن فلاسفة اليهود، صاغوا قالبًا دينيًا جديدًا؛ تمثل في أركان العقيدة اليهودية(٢)، وكان من أبرز أركان العقيدة التي صاغها يوسف ألبو؛ على النحو التالي:

==

هشيم"، وهو كتاب ديني، فلسفي. נחמה הירשנזון, אוצר ישראל אנציקלופידיא, ערך: לוי בן גרשון, עמ׳ 11.

(١) אלעזר שביד: בין משנת העיקרים של ר׳ יוסף אלבו למשנת העיקרים של הרמב"ם, עמ׳ 74-75.

(٢) يُطلَق على أركان العقيدة اليهودية؛ مُسمى؛ أصول العقيدة، أو أصول الاعتقاد، أو قواعد الشريعة، أو أصول الشريعة، أو أركان الدين، أو أصول الدين، والمُسمى الشائع استعماله في اللغة العبرية بمعنى "أركان العقيدة"، هو עִקְּרֵי הָאֱמוּנָה. والأركان بمثابة حقائق ثابتة تقوم عليها أصول العقيدة اليهودية، لذلك يجب الإيمان بها. وهناك من زعم أن التوراة كُلها ليست إلا رُكنًا عامًا لجميع أركان العقيدة. ومعنى أركان العقيدة: حُجة يُعوَّل عليها، يتم قبولها بأنها حقيقية، وبدون وجودها يتقوض الدين. יצחק קליין; ואלכסנדר איזק: הגותו של הרמב״ם על רקע ההגות הכללית והיהודית, הקדמה לספר המדע, עמ׳ 197. وتُعدُّ العصور الوسطى؛ بداية التفكير في صياغة أركان للعقيدة اليهودية، بدءًا من "سعديا جاؤون"، ثم "ابن ميمون"، وحسداي قريسقس، و"يوسف ألبو". وكان أول من تحدث عن أركان العقيدة في اليهودية، "إبراهيم بن داود اللاوي"، حيث حدد في كتابه ״האמונה הרמה״ ستة أركان للعقيدة اليهودية، لكن كان
==

==

ذلك بصورة موجزة. أما "حسداي قريسقس" "Hasdai Crescas" فكان أولْ من فرّقَ بين الأركان، حيث إنه صنفها في تصنيفاتٍ مختلفة، واختلف مع الفكر الديني لـ "ابن ميمون". وقد استمرّ كل من جاء بعد "ابن ميمون" في عدّ الأركان، وكان من أبرزهم "ألبو" مؤلف "كتاب الأركان"، وكانت مسألة صياغة الأركان في العصور الوسطى؛ بمثابة ضرورة من أجل التعامل مع تحديات الفلسفة من جانب، والتعامل مع المسيحية والإسلام من جانب آخر. كما كان الجدل الديني القائم في العصور الوسطى، سببًا في التفكير في صياغة أركان للعقيدة اليهودية. وكان الغرض من صياغة أركان العقيدة؛ هو الدفاع عن الشريعة اليهودية، فوضع سعديا جاؤون؛ أركانًا للعقيدة، على غرار ما هو موجود في الإسلام، ولذلك فإن من يتمسك بها، يُحكَم عليه بالإيمان، وأما من يخل بها أو بأحد أركانها؛ يُحكم عليه بالكفر .ويُعدُّ "سعديا"، من أوائل فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، الذين تضمنت مؤلفاتهم أركانًا للعقيدة اليهودية، في القرن العاشر الميلادي. أما "ابن ميمون"، أول فيلسوف يهودي في العصور الوسطى، يمنح أركان العقيدة معنى مثاليًا في الفكر العقدي–الفلسفي اليهودي. حيث إنه صاغ ثلاثة عشر ركنًا، لاقت قبولاً بين اليهود. ولم يُطلق "ابن ميمون" على أركان العقيدة هذا المُسمى في كتاباته في باديء الأمر، بل أطلق عليها مُسمى "أصول الشريعة" أو "قواعد الشريعة". دلالة الحائرين، ٢٤/٣، ص ٥٦٣. وقال إن أصول الشريعة وقواعدها ثلاث عشرة قاعدة، وهي: **القاعدة الأولى:** وجود الباريء سبحانه. **القاعدة الثانية:** وحدته تعالى: وذلك أن هذا علة الكل واحد، وليس كواحد الجسم. **القاعدة الثالثة:** نفي الجسمانية عنه: وذلك أن هذا الواحد ما هو جسم ولا قوة في جسم. **القاعدة الرابعة:** القِدم: وذلك أن هذا الواحد الموصوف هو القديم على الإطلاق. **القاعدة الخامسة:** أنه تعالى هو الذي ينبغي أن يُعبَد ويُعظَّم، ويُعلَن بتعظيمه وطاعته. **القاعدة السادسة:** النبوة: وذلك بأن يعلم أن هذا النوع الإنساني، قد يوجد فيه أشخاص لهم فِطَر فائقة جدًا. **القاعدة السابعة:** نبوة سيدنا موسى عليه السلام: وذلك بأن يعتقد أنه أبو كل الأنبياء، المتقدمين قبله والمتأخرين بعده. **القاعدة الثامنة:** أن التوراة من السماء، يعني من عند الله: وذلك بان يعتقد أن جميع التوراة الموجودة بأيدينا يومنا هذا؛ هي التوراة المُنزلة على سيدنا موسى. **القاعدة التاسعة:** النسخ: وذلك أن هذه شريعة

==

المبحث الثاني: الإيمان بأبدية التوراة

يؤمن اليهود، أن الأسفار الخمسة، نزلت على سيدنا موسى عليه السلام، أما كل التوراة من سفر يشوع إلى سفر ملاخي، فلم يقل أحد منهم إن هذا الكل، نزل على موسى عليه السلام، وظل هذا سائدًا بين اليهود، حتى هبت رياح الإسلام عليهم؛ فقررت أن القرآن الكريم كله من عند الله من أوله إلى آخره، ليس فيه تبديل ولا تغيير ولن يتبدل ولن يتغير، مصداقًا لقول الله جَلَّ

==

موسى لا تُنسَخ، ولا تأتي شريعة من قِبل الله غيرها، ولا يُزاد فيها ولا يُنقَص منها، لا في النص ولا في التفسير، حيث ورد: "لاَ تَزِيدُوا عَلَى الْكَلاَمِ الَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلاَ تُنَقِّصُوا مِنْهُ، لِتَحْفَظُوا وَصَايَا يهوه إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا". التثنية ٢/٤. **القاعدة العاشرة:** أنه تعالى يعلم أفعال الناس ولا يُهملها. **القاعدة الحادية عشرة:** أنه تعالى يجازي من يمتثل أوامر التوراة، ويعاقب من يرتكب نواهيها. وأن أعظم جزائه الآخرة، وأشد عقابه الانقطاع. **القاعدة الثانية عشرة:** أيام المسيح: هو الإيمان والتصديق بمجيئه، ولا يُستبطَأ، ولا يضرب له أجلٌ، ولا يتأول النصوص لإخراج وقت مجيئه. **القاعدة الثالثة عشرة:** القيامة: هي قاعدة من قواعد شريعة سيدنا موسى، لا دين ولا ارتباط بالملة اليهودية، لمن لا يعتقد ذلك. ثم كان الجدل في طرطوسة "טורטוסה"، [١٤١٣-١٤١٤م]؛ أحد أسباب صياغة ألبو لأركان العقيدة اليهودية؛ لمزيد من التفاصيل، يُنظَر: משרד הבטחון, לקסיקון מן המסד ליהדות ולציונות, ההוצאה לאור, הדפסה שמונה עשרה, 2005, עמ' 193; א. שב: האנציקלופדיה העברית, חברה להוצאת אנציקלופדיות, ירושלים ותל אביב, תשכ"ט, כרך כ"ז, עמ' 107 ; جمال صوالحين: تاريخ الفلسفة اليهودية منذ البدايات حتى العصور الوسطى، ص ٤٧، תורת העיקרים בפילוסופיה היהודית בימי הביניים, עמ' 113 ; ספר העיקרים א טו; יוסף אלבו: ספר העיקרים, ויניציאה, 1544, הקדמה, עמ' ט.
Sjimon den Hollander: Kitab al-Siradj; Chapter Heleq, Arabic-Hebrew, Transcription, editing and footnotes, The University of Manchester Library, 2013, pp. 20

وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا ال ذكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]. وألقى هذا الاعتقاد العميق؛ بظلاله على الفكر الديني اليهودي، فتأثر به واعتقد مثله؛ لذلك يوجب موسى بن ميمون في الأصل الثامن من الأصول التي وضعها ضرورة إيمان كل من يعتنق اليهودية، أن كل التوراة الموجودة الآن بين يدي اليهود؛ هي نفسها أُعطيت لسيدنا موسى عليه السلام. ويوجِب في الأصل التاسع؛ التصديق أن هذه التوراة غير قابلة للتغيير، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها من قبل الخالق تبارك اسمه، فابن ميمون يقرر هنا في الأصل الثامن؛ وجوب الإيمان بأن كل التوراة الموجودة بين يدي اليهود الآن، هي نفسها التي أعطيت لسيدنا موسى عليه السلام، ويستكمل فكرته في الأصل التاسع بأنها غير قابلة للتغيير، وأنها تامة كاملة غير ناقصة، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها من عند الله[٢].

مما سبق؛ نرى أن اليهود في بداية الأمر؛ لم يطرأ على مخيلتهم؛ ضرورة الإيمان بأبدية التوراة، على صورتها الحالية، ولكنهم بدأوا في مناقشة هذا الأمر؛ بعد تأثير الفكر الإسلامي فيهم.

ترى الشريعة اليهودية، أن جميع وصايا التوراة، أبدية يجب العمل بها، حتى نهاية العالم، استنادًا لما ورد في التوراة الموسوية، ولذلك أوصى الإله

---

[١] سورة الحجر، الآية: ٩.

[٢] מנחם קלנר: תורת העיקרים בפילוסופיה היהודית בימי הביניים, עמ׳ 113، دلالة الحائرين، ٣/٢٤، ص ٥٦٣.

Sjimon den Hollander: Kitab al-Siradj; Chapter Heleq, Arabic-Hebrew, Transcription, editing and footnotes, The University of Manchester Library, 2013, pp. 20

بذلك؛ فقال: "... فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ"(١). ويتبين من هذا؛ أن التوراة الموسوية، ستبقى إلى الأبد، فلن يطرأ عليها أي تغيير، سواءً بالحذف أم بالإضافة، وفقما أوصت التوراة، حيث ورد: "كُلُّ الْكَلاَمِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. لاَ تَزِدْ عَلَيْهِ وَلاَ تُنَقِّصْ مِنْهُ"(٢). كما ورد، في موضع آخر: "السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ"(٣). كما ورد أن تلك الوصية، سهلة، من اليسير تنفيذها، وليست صعبة؛ فيصعب تنفيذها: "إِنَّ هذِهِ الْوَصِيَّةَ الَّتِي أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لَيْسَتْ عَسِرَةً عَلَيْكَ وَلاَ بَعِيدَةً مِنْكَ. لَيْسَتْ هِيَ فِي السَّمَاءِ ..."(٤). ولذلك يقول ابن ميمون، إن أي نبي غير مخول، باستحداث الشريعة، منذ نزول هذه الفقرات التوراتية(٥).

استنادًا للفقرات أعلاه؛ ينفي موسى بن ميمون إمكانية أن يقوم أي نبي، بإدخال تحديثات على الشريعة اليهودية القائمة بالفعل، سواء بالحذف أم بالإضافة، كما يحذر من المساس بأبدية التوراة.

وإذا كان يحرم على النبي الذي يتلقى رسائل من الله، أن يُغير في شريعة يهوه، أو ينسخها بأخرى، يكون الأمر أشد تحريمًا على الشخص العادي، أو حتى إن كان من الحكماء، يحرم عليه أن ينسخ فقرة أو كل التوراة المقدسة. ولهذا السبب، أسهب ابن ميمون في كلامه، في مسألة النبوة، بيهوهط بين

---

(١) اللاويين ١٤/٢٣.
(٢) التثنية ١/١٣.
(٣) التثنية ٢٨/٢٩.
(٤) التثنية ١١/٣٠-١٢.
(٥) רמב״ם, הלכות יסודי התורה ט א; יהודה ליואי בן בצלאל, תפארת ישראל, ויניציאה, 1599, פרק מט.

النبوة والشريعة الموسوية، والتأكيد على أنه لن تكون توراة غير التوراة الموسوية في المستقبل، ويوضح تحريم الإضافة، وذلك لأن الشيء الكامل غاية الكمال في عصرنا، من غير المتوقع وجود مثله، لكن يمكن العثور على أقل منه في المستقبل. وأما فيما يتعلق بشريعة يهوه؛ فكاملة [١]، ويكمن السبب في ذلك، أن أحكام شريعة موسى؛ تُشكل المنظومة القانونية المثالية، التي لا يضاهيها كتاب[٢].

إن استعمال مصطلحات، مثل تام، ومثالي، في وصف التوراة كتابًا؛ يؤكد على أن مقياس الكمال أو المثالية، يمكن تقييمه بأنه لا يضاهيه كتاب، ووفق رأي ابن ميمون، فإن الغاية من قوانين التوراة؛ إيصال الإنسان إلى الكمال البشري، في أمرين: **الأول:** النطاق الشخصي، ويتمثل في تعريف الإنسان بالأحكام والقوانين الصحيحة. **الثاني:** النطاق المجتمعي، وهدفه إصلاح المجتمع. ولأن حكمة الله، تقتضي إصلاح الفرد والمجتمع؛ وقد يصعب على الإنسان تخيل مضمون الحكمة الإلهية، من أجل تحقيق هذا الكمال للفرد والمجتمع، لذلك يرى ابن ميمون أنه لا يمكن للإنسان، تشريع منظومة قانونية، مثل التي شرّعتها التوراة، لأن تشريع التوراة مثالي، أما الإنسان فتشريعه ناقص، ولذلك لا يتبقى للإنسان في الحياة، إلا التصديق بالشريعة، لأنها هي التي أوضحت له السبيل الصحيح.

---

[١] موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، ترجمة: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت. ص ٤١١-٤١٨.

[٢] סלומון מונק, מדריך האבודים, פאריס, 1856, עמ' 304.

رأي السموءل المغربي في النسخ

تحدث السموءل، عن مسألة النسخ في التوراة؛ فقال: أقول لهم: "هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا؟ فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة. إذ شرع الله على نوح عليه السلام، القصاص في القتل، ذلك قوله تعالى: "سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ"[1]، وما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة، إذ شرَّع على إبراهيم ختان المولود في اليوم الثامن من ميلاده، وهذه وأمثالها شرائع، لأن الشرع لا يخرج عن كونه أمرًا ونهيًا من الله لعباده، سواء نزل على لسان رسول، أو كتب في أسفار، أو ألواح أو غير ذلك. فإذا أقروا بأنه قد كان شرع. قلنا لهم: ما تقولون في التوراة؟ هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟ فإن قالوا: لا. فقد صارت عبثًا. إذ لا زيادة فيها على ما تقدم، ولم تغن شيئًا، فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله. فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله، وذلك كفر على مذهبكم. وإن كانت التوراة أتت بزيادة، فهل تلك الزيادة تحرم ما كان مباحًا، أم لا؟ فإن أنكروا ذلك، بطل قولهم من وجهين: **أحدهما:** أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية يوم السبت، بعد أن كان مباحًا، وذلك عين النسخ. **الثاني:** أنه لا معنى لزيادة في الشرع، إلا تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم تحريمه. فإن قالوا: إن الحكيم لا يحظر، أي لا يحرم شيئًا، ثم يبيحه، لأن ذلك إن جاز مثله، كان كمن أمر بشيء

---

(1) سفر التكوين ٩/٦.

وضده. فالجواب: أن من أمر بشيء وضده، في زمانين مختلفين، غير متناقض في أوامره، وإنما يكون كذلك، لو كان الأمران في وقت واحد"[١].

مما سبق؛ يتبين أن السموءل، أقر بوجود النسخ في الشريعة الموسوية، مستشهدًا ببعض الأحكام التي تدل على النسخ.

"فإن قالوا: إن التوراة حظرت أمورًا كانت مباحة من قبل، ولم تأت بإباحة محظور، والنسخ المكروه، هو إباحة المحظور. لأن من أبيح له شيء، فامتنع عنه، وحظره على نفسه، فليس بمخالف. وإنما المخالف، من مُنع من شيء فأتاه، فاستباحه المحظور. فالجواب: أن من أحلّ ما حظره الشرع، في طبقة المحرم، لما أحله الشرع. إذ كل منهما قد خالف المشروع. ولم يقر الكلمة على معاهدها. فإن أجاز أن يأتي شرع التوراة، بتحريم ما كان إبراهيم عليه السلام، ومن تقدمه على استباحته، فجاز أن تأتي شريعة أخرى بتحليل، ما كان في التوراة محظورًا"[٢].

مما سبق؛ يتبين أن النسخ قد وقع في الشرائع السماوية، بصورة عامة، وفي التوراة الموسوية بصورة خاصة، وذلك في حال أجازت بعض الشرائع أمرًا ما، وحرمته شريعة أخرى، أو العكس، فهذا من أبرز الأدلة على جواز النسخ، وإذا كان النسخ قد حدث لبعض الأحكام في شريعة بعينها، فيجوز أن تُنْسَخ الشريعة بأسرها، لا سيما إذا اقتضت حكمة الله نسخها بأخرى.

---

[١] السموءل بن يحي بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت، ص ٢٠-٢١.

[٢] للمزيد عن مسألة النسخ في التوراة، يُنظَر: السموءل بن يحي بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت، ص ٢٠، وما بعدها.

النسخ بالإضافة عند ابن ميمون

إن التوراة، منظومة مثالية لجميع الأزمنة، ووفق القاعدة العامة، التي تنُصّ على أن النبي غير مخول في إجراء أي نسخ على التوراة؛ فهذا برهان على أن الله لن يستثني أحدًا من البشر أو الأنبياء من هذه القاعدة، وهذا سبب إضافي، جعل ابن ميمون يُحرم النسخ، بالزيادة، حيث قال: لما علم الله تعالى أن أحكام هذه الشريعة، قد يحتاج في كل زمان ومكان، بحسب اختلاف المواضع والطواريء، وقرائن أحوال إلى زيادة في بعضها، أو نقصان من بعض، نهى عن الزيادة والنقصان، وقال لا تزيدوا عليه ولا تنقصوا منه، لأن ذلك كان يؤدي إلى فساد، قوانين الشريعة، وللاعتقاد فيها أنها ليست من قِبَل الله، وأباح مع ذلك لعلماء كل عصر، أعني المحكمة العليا، أن يحتاطوا لثبات هذه الأحكام الشرعية، بأمور يستجدونها على جهة سدّ الشريعة، ويُخلّدون تلك الاحتياطات[١] كما قال الحاخامات: إنهم صنعوا سياجًا للتوراة[٢]. وأضاف ابن ميمون قائلاً: "وكذلك أبيح لهم أيضًا أن يُعطلوا بعض أعمال الشريعة، وأبيح بعض محظوراتها، في حالة ما، وبحسب نازلة ما ... فبهذا التدبير تدوم الشريعة، بأنها واحدة، ويُدبر كل زمان وفي كل نازلة بحسبها"[٣].

يتبين من رأي ابن ميمون أعلاه، أنه يحرم نسخ الشريعة، لكنه في الوقت ذاته، يمنح الصلاحية للمحكمة العليا، بإجراء بعض الصلاحيات، لتعطيل

---

[١] موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، الجزء الثالث، ف ٤١، ص ٦٤١.

[٢] משנה, אבות, א' א'.

[٣] موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، الجزء الثالث، ف ٤١، ص ٦٤١.

بعض أحكام الشريعة، لذا أرى أن رأي ابن ميمون هُنا؛ يشوبه الغموض، كما أن مضمونه؛ يجيز عملية النسخ.

يتمثل مفهوم تحريم النسخ بالإضافة، في أن التوراة الموسوية؛ مثالية، ومن غير المتوقع أن يكون هناك قانون مثالي آخر. إن هذا المعنى الكامن في رأي ابن ميمون في مسألة أبدية التوراة؛ يفيد أنه لن توجد أي شريعة مثالية مثل التوراة، مستقبلاً. ويبني ابن ميمون رأيه على فرضية فلسفية، قانونية واحدة، مفادها أنه لابد من وجود قانون مثالي لجميع الأزمنة. وهذه القاعدة الفلسفية، لا تتماشى مع تحريم إضافة أي شيء على التوراة، أي أنه يجيز نسخ التوراة. ويتبين منه أن قانون التوراة غير ملائم لجميع الأزمنة. وهذا القانون غير قياسي، لجميع الأزمنة، بيد أنه قياسي، لأفعال الإله في الطبيعة. ولا يجوز أن يقال في إعطاء الآراء الصحيحة والنافعة، في اعتقاد الشريعة، ما فائدتها؟[1].

يتبين من هذا؛ أن ابن ميمون، يؤيد نسخ التوراة، لأن هذا النسخ، بمثابة فتوى، والفتوى لابد أن تكون ملائمة للأزمنة. ولكن نرى أنه لا يقصد بالنسخ، تعديل نصوص التوراة، ولكن المقصود نسخ أحكامها.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فهل يملك بنو البشر الصلاحية، لإجراء تعديل على التوراة، وفق متطلبات الحياة؟ ينفي ابن ميمون هذا الاحتمال، المتعلق بالإصلاح القواعدي المستمر، فهذا التغيير في الشريعة، من أجل ملاءمتها للواقع؛ من شأنه أن يؤدي إلى أمرين عسيرين: **الأول:** تقويض الإطار القانوني الديني للشريعة. **الثاني:** إنكار أحد أركان العقيدة اليهودية، وقد

---

[1] المرجع السابق، ف ٣٥، ص ٦٠٦.

يصل الحال بالشخص، بالقول إن الشريعة ليست من عند الله. ومنكر الشريعة، يحكم عليه الكفر بالعقيدة اليهودية، وهذا من شأنه أن يخرجه عن الملّة. لكن السؤال الذي يلوح في الأفق، هل جميع قوانين التوراة، ملائمة لجميع العصور؟ للإجابة عن هذا السؤال؛ نناقش مسألة القرابين، كمثال للقانون التوراتي، متوقف على فترة معينة، وفق رأي موسى بن ميمون، حيث كتب يقول: عندما يولد الإنسان، يتغذى على اللبن، فأعد له الثديان، لكي يتغذى بغذاء رطب، ثم يتغير الغذاء، بتغير سن الإنسان، وبمثل هذا التدبير، جاءت أشياء كثيرة في شريعتنا، وذلك أنه لا يمكن الخروج من الضد إلى الضد، دفعة واحدة. فلذلك لا يتسع بحسب طبيعة الإنسان، أن يترك كل ما ألفه دفعة واحدة. فلما بعث الله سيدنا موسى، قسّم بني إسرائيل، مملكة، وأحبارًا، وشعبًا مقدسًا، كما نصت التوراة[١]، وذلك بغية أن ينقطع بنو إسرائيل لعبادة الله[٢]. وكانت السيرة المشهورة في العالم كله، المألوفة حينئذ. والعبادة العامة، التي نشأنا عليها، إنما كانت تقريب أنواع الحيوانات، في تلك الهياكل، التي تقام فيهاالصور والسجود لها. وإطلاق البخور بين يديها ... ولم تقتض حكمته تعالى، وتلطفه البين في جميع مخلوقاته، أن يُشرِّع برفض أنواع العبادات هذه كلها، وتركها وإبطالها، لأن هذا كان ما لا يتصور قبوله بحسب طبيعة الإنسان، التي تأنس للمألوف[٣].

"وكأن يكون مثال هذا حينئذ، مثل ما لو جاء نبي في هذه الأزمنة، يدعو لعبادة الله، ويقول قد شرعكم الله بأن لا تصلّوا له، ولا تصوموا ولا تستغيثوا له

---

(١) الخروج ٦/١٩.
(٢) التثنية ٤/١٣.
(٣) موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، الجزء الثالث، ف ٣٥، ص ٦٠٦.

عند مُلمّة، وإنما تكون عبادتكم فكرة دون عمل أصلاً. فلذك أبقى تعالى تلك أنواع العبادات ونقلها من كونها لمخلوقات، ولأمور خيالية، لاسمه تعالى، وأمر بني إسرائيل بفعلها له، ثم أمرهم ببنيان هيكل له مقدسًا[١]، وأن يُبنى مذبح من تراب، وأن تُقدَّم له القرابين كما ورد في سفر اللاويين، وأن يكون السجود بين يدي الله، ونهى أن يُفعل أي شيء من هذه الأشياء لغيره، من ذبح لآلهة، وإفراده بالعبودية[٢].

وأضاف ابن ميمون قائلاً، لكي يمحو عبادة الصنم التي اعتاد عليها الناس، أمر الكهنة، والأحبار، بالاشتغال في الهيكل، وتقديم القرابين للرب، فحصل بذلك التلطف الإلهي، أن مُحيَ ذكر عبادة الأصنام، وذلك بصورة تدريجية، وثبتت القاعدة الكبرى، وهي وجود الإله، ووحدانيته، فلم تنفر الأنفس، ولم تستوحش النفس بتعطيل العبادات، التي أَلِفت، ومن ثم ينفذون ما قاله يهوه على لسان موسى[٣]، فجاءت الشرائع بلطف إلهي، حتى يبقوا مع نوع العمل المعتاد، كي يصح الاعتقاد، الذي هو القصد الأول[٤].

يتبين من هذا؛ أنه وفق رأي ابن مميون؛ فإن المغزى من القرابين، في وقت منح التوراة، كان شائعًا ومقبولاً في الشريعة، وذلك يكمن فيه، طاعة الإله، لأنه أمر بذلك، بيد أن هذا الأمر لم يبق مقبولاً، لأن مثل هذا الطقس

---

(١) الخروج ٢٥/٨.

(٢) الخروج ٣٤/١٤.

(٣) العدد ٩/٢٣.

(٤) موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، الجزء الثالث، فصل ٣٢، ص ٥٩٤-٥٩٥.

كان غير شائع، لأنه حاد من عبادة الله، إلى عبادة الأوثان، ومن ثم يمكن استنتاج؛ أن بعض التشريعات، تكون ملائمة لفترة دون أخرى.

الزيادة، أو الحذف من نصوص التوراة من منظور يهودي

لا يجوز الحذف من نصوص التوراة، أو الإضافة عليها، وذلك وفقما ورد في التلمود: كن حذرًا في عملك، في مدارسة التوراة، وتعليمها، فلا تحذف منها، وتضيف إليها حرفًا واحدًا، لأنك إن صنعت هذا، سيخترب العالم بأسره[١].

يتبين مما سبق؛ أن التوراة نظام إلهي للموجودات، فعندما يُحذَف منها أو يُضاف إليها حرف؛ فهذا معناه إضافة أو نقصان من نظام الوجود الذي صنعه الإله.

وأبدية التوراة، تُعدُّ من الأمور البيّنة المعروفة، التي تُفهَم عقليًا، لأن الله بعدما خلق الخلق، منح لهم قانونًا لا يمكن تغييره، وإذا كان بعض المخلوقات يمكن أن يطرأ عليها تغيير، فإن التوراة الموسوية من المستحيل تغييرها[٢]، وكما رتب الإله كل الوجود، ولا يمكن الزيادة أو النقصان من الوجود، وعندما يحاول البشر صنع ذلك؛ فسيحل الخراب على العالم؛ كذلك الحال بالنسبة للتوراة، فلا يجوز الحذف منها أو الزيادة عليها، لأنها بمثابة قانون إلهي، يستمد الوجود منها بقاءه، مثلما ورد في سفر إرميا: "וַיהוָה אֱלֹהִים אֱמֶת, הוּא-אֱלֹהִים חַיִּים וּמֶלֶךְ עוֹלָם; מִקִּצְפּוֹ תִּרְעַשׁ הָאָרֶץ, וְלֹא-

---

[١] תלמוד בבלי, עירובין י"ג א.

[٢] יהודה ליואי בן בצלאל, תפארת ישראל, ויניציאה, 1599, פרק מט.

יָכִלוּ גוֹיִם זַעְמוֹ״[١]. أَمَّا يهوه الإِلهُ فَحَقٌّ. هُوَ إِلهٌ حَيٌّ وَمَلِكٌ أَبَدِيٌّ. مِنْ سُخْطِهِ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ، وَلاَ تَطِيقُ الأُمَمُ غَضَبَهُ[٢].

فلا يجوز إضافة حرف واحد إلى التوراة الحالية، لذلك قالوا: אם אתה מחסיר האל״ף יהיה מת, ובזה אתה מחריב העולם, וידבר ה׳ אם אתה מוסיף אות, לומר וידברו אתה מחריב״[٣]. "ويهوه الإله حقيقة، فإذا حذفت حرف الألف يكون "ميت"، وبذلك فإنك تُدمِّر العالم، وكذلك الحال في قولك "وتكلم يهوه"، فإذا أضفت حرف الواو؛ أصبحت الكلمة جمعًا، فتقول: وتحدثوا، وبذلك تُخرب العالم". ويُستَنتَج من هذا؛ أن الحذف من شأنه أن ينسب العدم للرب، والإضافة من شأنها أن تنسب التعدد للرب، وكل من العدم والتعدد من الأمور المحالة في حقه سبحانه وتعالى[٤].

مما سبق؛ يتبين خطورة الزيادة على نصوص التوراة، أو الحذف منها، حتى وإن كان الحذف أو الزيادة، بمقدار حرف واحد فقط.

كما حرمت الشريعة اليهودية، الزيادة على نصوص التوراة، لأنها تامة، والزيادة على نصوصها بمثابة ربا، ويهوها من المحرمات، وقد تطرق حاخامات اليهود، إلى ضرورة ملائمة أحكام الشريعة، لكل فترة، وهو ما يتضح في مسألة يهوها أو الزيادة؛ حيث رأى حاخامات اليهود، ضرورة في هذه المسألة، ولذلك بحثوا فيها، وصولاً إلى مغزى هذا التحريم، وأن أساسه نصت التوراة عليه: "... וְחֵי אָחִיךָ עִמָּךְ״[5] "....، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ ".

---

[١] ירמיהו י׳ י.
[٢] إرميا ١٠/١٠.
[٣] יהודה ליואי בן בצלאל, תפארת ישראל, פרק מט.
[٤] שם שם.
[5] ויקרא כה לו.

حيث إنه في فترة منح التوراة؛ كان أساس حياة بني إسرائيل، وعملهم فلاحة الأرض، فكان هذا هو أساس حياتهم، لأن من كانت له دخول، كان معدودًا من الأغنياء، ولم يُعدُّ المال أساسًا للحياة، وعندما كانوا يجمعون المال، لم يكن من أجل التجارة وشراء المتطلبات، لكن لتوفير الخبز والملبس لِمن كان بحاجة إليه، لحقله وعمله، ولذلك فإن الفقير المقترض، لم يكن في حسبانه دفع يهوها، كما أن المُقرِض الغني لم يلحقه أي نقص في ماله، بدون زيادة(١)، وقد صنعوا ذلك؛ استنادًا لقانون: يعيش أخوك معك(٢).

وقد تم تفسير هذه الفقرة؛ بأنه إذا كان هناك شخصان يمشيان في الصحراء، ثم نفذ ما لدى أحدهما من مياه، فينبغي على الآخر، ألا يشرب ما تبقى معه من ماء بمفرده، وإلا سيحيا، ويموت صاحبه، ولكن ينبغي عليه اقتسام المياه، لكي يصلا لبر الأمان سويًا، فتُكتَب لهما الحياة(٣).

لكن في العصور الوسطى، الذي فقد فيه بنو إسرائيل، جزءًا من فلاحة الأرض، بسب أن المال أساس الحياة والتجارة، كما أصبحت الفائدة عملاً متساويًا بين المقترض والمقرض، فيشترك معهما ما نصت الشريعة عليه: "وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ. لاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ. فِضَّتَكَ لاَ تُعْطِهِ بِيهوها، وَطَعَامَكَ لاَ تُعْطِ بِالْمُرَابَحَةِ. أَنَا يهوه إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا"(٤).

(١) יהודה ליואי בן בצלאל, תפארת ישראל, פרק מט.

(٢) שם שם.

(٣) משרד התרבות והחינוך: עולם התנ״ך, פירוש ספר ויקרא, עמ׳ 194.

(٤) اللاويين ٣٥/٢٥- ٣٨.

وبناءً على ما سبق؛ وجد حاخامات اليهود، ضرورة في تحريم هذا الأمر، وقالوا إن تحريم يهوها، يلائم المجتمع الذي يعتمد في قُوتِهِ في الأساس، على الزراعة، مثلما ساد هذا الأمر لفترة طويلة، فكان يقترض الفقراء الأموال، ولا يمكن تبرير هذا الأمر، في العصر الذي تنتشر فيه الصناعة والتجارة، وهذا يُعدُ دليلًا بيّنًا ثانيًا؛ مفاده أن بعض وصايا الشريعة، تكون ملائمة لفترة دون أخرى. وأن التعامل بالفائدة، كان مباحًا في فترة ما، ثم نسخت التوراة هذا الحكم، وذلك لكي يتماشى مع الأحكام العصرية.

المبحث الثالث: نسخ التوراة، عند يوسف ألبو

تفنيد ألبو؛ آراء من قالوا بأبدية التوراة الموسوية

يرى معظم من ينتمون إلى اليهودية؛ أن من أصول عقيدتهم؛ الإيمان بعدم نسخْ توراة موسى، وأنها لن تتغير، ولن تُبَدَّل بغيْرِها من قِبَل أي نبي، وهذا المُعتَقَد على الرغم من أنه ضروري للشريعة الإلهية بصورةٍ عامة، وليس لتوراة موسى فقط، لكنه فرع مُتَشَعِّب من بعثة النبي، ولذلك ينبغي أن يؤمن بهذا المُعتَقَد، كل من يؤمن بتوراة موسى؛ لأن الكمال الإنساني سوف يتحقق في كل وصية من وصايا التوراة"[١]، وعندما يُصدق من ينتمي إلى اليهودية، بهذا المعتقد؛ سيفوز بنصيبه في الآخرة، حيث قيل: "الإيمان بأن الكمال الإنساني سوف يتحقق، بالعمل بوصية واحدة من وصايا توراة موسى، وإذا لم يكن الأمر كذلك؛ تكون توراة موسى كأنها تُبعِد الإنسان من أن يُحقِّق الكمال الإنساني، الذي أطلق عليه حكماء اليهود مُسمى "حياة الآخرة"[٢]. قال حكماء اليهود: "רצה הקב"ה לזכות את ישראל, לפיכך הרבה להם תורה ומצוות"[3]. "رغب الإله، في تطهير بني إسرائيل، لذلك زاد لهم في الشريعة والفرائض".

يُعد رأي ألبو، في مسألة أبدية التوراة[٤]، رأيًا فريدًا، إذ لا يضاهيه رأي، من آراء فلاسفة اليهود في العصور الوسطى، لذلك لم يلق قبولاً لدى مفكري

---

[١] אליעזר שביד: ספר העיקרים לר' יוסף אלבו, עמ' 64-65.

[٢] שם, עמ' 65.

[3] תלמוד בבלי, מהדורת ווילנא, הוצאת שנת 5645 לבריאת עולם, מכות כג, ע"ב.

[٤] יוסף אלבו, ספר העיקרים, מהדורת י', הוזיק, פילדלפיה, 1929, מאמר ג', פרקים יג-כב.

اليهود في الأجيال التي جاءت من بعده؛ فعندما عرض لرأيه في مسألة أبدية التوراة، لوحِظَ استعماله، آراء حاخاماته، ثم غيّر مفهومها، وفسرها كما لا ينبغي، وعلى الرغم من النقد اللاذع لرأي "ألبو"، فإن رأيه له مكانة خاصة عند النظر إليه من زاوية أخرى[١]، ولذلك أيده "سليمان بن يتسحاق"[٢]، فقال: يلاحَظ في بعض الأحيان، أن دلالة رأي ألبو؛ تشير إلى معنى بعينه، وفي أحيان أخرى تُشير إلى معنى آخر[٣].

يرى "ألبو"؛ أن رأي كل من "سعديا جاؤون"، في مؤلفه "الأمانات والاعتقادات؛ في المقالة الثالثة، الفصل السابع، وموسى بن ميمون، في مؤلفه "مشنيه توراه"، في الجزء الخاص، بأحكام التوبة ٣/٨؛ غير صحيح؛ لأنه قد تُبَدَّل الأحكام والقوانين، لضرورة ما، وأضاف ألبو قائلاً: "هناك من يجلب الدليل على أبدية التوراة الموسوية، من خلال فهمه لبعض الفقرات التي وردت في التناخ، مستندين في ذلك، إلى أن بعض الأحكام التوراتية؛

---

[١] תלמוד בבלי, עירובין יג, עב.

[٢] سليمان بن يتسحاق: وُلِدَ في مدينة "تروا" بشمال فرنسا، في نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، وذكرت جُلّ المصادر التي أرّخت لحياته؛ أنه وُلِدَ سنة ١٠٤٠م، وقال مصدر آخر؛ أنه وُلِدَ سنة ١٠٣٠م. وتلقى تعليمه الأوليّ، يهوديًا تقليديًا، وألمَّ ببدايات الفكر الديني. وكان اليهود في ذلك الوقت، يعيشون في عصر الدرشانيم، وهم أولئك الأحبار الذين استقوا مواد تفاسيرهم للمقرا؛ غالبًا من كتب التراث التقليدي لليهود، وكان هذا هو المصدر الأساسي الذي تعلم منه التفسير. ويُعدُّ من أبرز مفسري "المقرا". وتُوفيَ سنة ١١٠٥م. الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، عبدالرازق أحمد قنديل، دار التراث بالقاهرة، بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط، ١٩٨٤م. ص ٢٦٢-٢٩٠. ويُطلَق عليه "رشي"؛ اختصارًا لاسمه.

[٣] כתובות נ״ז, ע״א.

أحكام مُلزمة يجب تنفيذها، وأنها باقية للأبد، أي أنها وصية أبدية، مثلما ورد في وصايا يوم الغفران، في سفر اللاويين ٢٣، ووصايا يوم السبت، الخروج ٣١، ووصية عيد الفصح، الخروج ١٢؛ وأرى أن هذه الأحكام ليست أبدية، لأن هناك بعض الوصايا، التي قد تُلْغَى مستقبلاً، وذلك لأن هذه الوصايا قد تكون ضرورية في وقت ما، لضرورة ما، ثم تُنسَخ بأخرى مستقبلاً، ولا تبقى للأبد؛ لذلك يرى ألبو، أن مثل هذه الوصايا، ليست دليلاً على أبدية التوراة الموسوية، لأنها قد تُنسَخ بشريعة أخرى[١]، ويستشهد ألبو، بما ورد في التلمود، بجواز إلغاء الوصايا مستقبلاً[٢].

مما سبق؛ يتبين أن ألبو، يرى جواز نسخ التوراة، لا سيما وأن بعض الأحكام قد لا تبقى للأبد، لأن تشريعها كان مُقتصرًا، على فترة معينة، لغرض معين، ثم نُسخ بحكم آخر، يختلف عنه في بعض السمات، أو يلغيه تمامًا.

وأضاف ألبو قائلاً: إن عبارات مثل؛ עולם או עד עולם או חוקת עולם או לעולם عولام، عَد عولام، حوقت عولام، لعولام؛ الأبد، إلى الأبد، فريضة أبدية، الأبد؛ ليست دليلاً على أبدية التوراة، لأن مثل هذه الألفاظ، تُستعمَل في الأزمنة المحدودة، وليس على الأزمنة غير المحدودة[٣].

إذ بالنسبة لما يتعلق بكلمة عولام؛ فإن ما ورد في سفر الأمثال؛ يفيد أن حدود بني إسرائيل، هي الحدود التي رسمها آباء بني إسرائيل، من قبل، كما

---

[١] יוסף אלבו, ספר העקרים, ווארשא, 1877, מאמר ג פרק טז.
[٢] קדושין, ל״ז ב.
[٣] יוסף אלבו, ספר העקרים, מאמר ג פרק טז.

ورد: אַל תַּסֵּג גְּבוּל עוֹלָם אֲשֶׁר עָשׂוּ אֲבוֹתֶיךָ"[١] "لا تغلق حدود عالم؛ صنعه آبائك، أي أنها مرسومة من قديم الزمان.

وكذلك الحال، فيما يتعلق بكلمة "عولاميم"؛ فإنها قد يُقصَد بها؛ زمن مُعين، لفترة زمنية معينة، مثلما ورد في سفر المزامير، الإصحاح الواحد والستون. وقد يُقصَد بها الزمن الطويل، وليس الأبدي، كما ورد في سفر الجامعة؛ الإصحاح الأول. وأما فيما يتعلق بكلمة "لعولام"؛ فيُقْصَد بها الزمن القصير، المحدود، مثلما ورد في سفر الخروج، في الإصحاح الواحد والعشرين. وأما "عَد عولام"؛ فقد يُقْصَد بها، مدة زمنية محددة بمُدة، مثلما ورد في سفر العدد/٨، وإشعياء ٣٢. وكذلك الحال؛ بالنسبة لـ"كُل يمي عولام"؛ فيُقصد بها المدة المحددة، مثلما ورد في سفر إشعياء /٦٣. كما أن معنى "نيتسح"؛ يضاهي معنى "نيتساحيوت"، وقد يكون معناها؛ فترة وجيزة، مثلما ورد في سفر المزامير /٦٨. وأما "حوقت عولام؛ فليس معناها أن تكون الوصية أبدية، على مدى الدهر، فقد ورد في شأن المنارة "السراج"، أنها فريضة أبدية[٢]؛ لكن توقف العمل بهذه الوصية، بعد خراب الهيكل، ويرى ألبو، أن المقصود بالفريضة الدهرية؛ ألا يوقف اليهود، العمل بها من تلقاء أنفسهم[٣].

مما سبق؛ يتبين أن ألبو، يرى أن الفريضة الدهرية، مفادها عدم إيقاف العمل بالوصية؛ إلا وفق ما تقتضيه الضرورة.

---

[١] משלי כב כח.

[٢] وَكَلَّمَ يهوه مُوسَى قَائِلاً: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُقَدِّمُوا إِلَيْكَ زَيْتَ زَيْتُونٍ مَرْضُوضٍ نَقِيًّا لِلضَّوْءِ لإِيقَادِ السُّرُجِ دَائِمًا... فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ". [اللاويين ٢٤/١-٣].

[٣] יוסף אלבו, ספר העקרים, מאמר ג פרק טז.

رأي ألبو في أبدية التوراة، من خلال ما ورد عند فلاسفة اليهود

بنى ألبو رأيه؛ في مسألة أبدية التوراة، بناءً على فهمه، آراء بعض فلاسفة اليهود؛ ففسرها وفق رؤيته هو؛ لذلك سأعرض آراءهم، كما يلي:

أولاً: معلمه حسداي قريسقس

إن أساس أبدية التوراة، وفقما ورد عند حاخامات اليهود، أن هذه التوراة الإلهية الموجودة بين يدي بني إسرائيل اليوم؛ تشتمل على التوراة المكتوبة والشفوية؛ توراة أبدية، مثلما قال حاخامات اليهود، أن الذي منحها يتصف بأنه بصير[1]، ويتبين أنه لا يوجد نبي مخوّلٌ، باستحداث أمر في التوراة؛ ولذلك من غير الممكن أن يتم إلغاء وصية من وصايا التوراة، أو استبدالها بأخرى، حتى وإن كان من يريد ذلك نبي[2].

استهل ألبو رأيه في أبدية التوراة[3]، بالإشارة إلى رأي مُعلمه؛ الحاخام "حسداي قريسقس"، في مؤلّفه "نور يهوه" "אור השם"؛ فوفق رأي قريسقس، فإن الإيمان بأبدية التوراة، ليس ضمن أركان العقيدة اليهودية، واستنادًا لرأيه، فالزوايا "פינות"، والأركان "היסודות"، لا يمكن أن نتصور وجود الشريعة بدونها، ولذلك فالإيمان بأبدية التوراة، لا يمكن أن يكون أحد زوايا الشريعة؛ لأننا إذا افترضنا جواز الحديث عن أبدية التوراة، فمن الممكن أن يقول قائل إن التوراة وقتية، وليست أبدية[4]. وعلى الرغم من عدم عدّ

---

(١) תלמוד בבלי, שבת קג, ע"א.

(٢) חסדאי קרשקש: אור השם, ג, ח"א, כלל פ"א.

(٣) ספר העיקרים מאמר ג', פרקים יג-כב, מהדורת י', הוזיק, פילדלפיה, 1929.

(٤) אור ה', מאמר ג', חלק א', כלל ח' פ"ג.

قريسقس، الإيمان بأبدية التوراة ضمن أركان العقيدة، لكنه يرى أن الإيمان بأبدية التوراة، لابد أن يتسم بالصدق، لأن من ينكر أبدية التوراة، يكن مُلحدًا[١].

يرى قريسقس، أن التوراة تامة، إلى درجة تصل إلى الكمال، وحيث إن مانح التوراة بصير، لذلك فالتوراة تامة، وتمامها لا يستلزم أن يكون مُتلقُّوها بلغوا الكمال البشري، ومن ثم فإن المتلقين سواء أكانوا تامين أم ناقصين، فهذا من شأنه أن يجعل أبدية التوراة أمرًا غير ضروري، ولكن الأمر متعلق بالله فقط وليس بالمتلقين. فقد يكون تغيير التوراة ضروريًا، مثلما حدث في شرائع بعض الأمم السابقة، كما حدث مع شريعة سيدنا آدم عليه السلام، حيث حرم الله عليهم تناول اللحم، في حين أحلّه لبني نوح، وهذا دليل على حدوث تغييرات في الشرائع السابقة، وهو مما لا يخفى على أحد[٢].

أرى هُنا أن رأي قريسقس، رغم أنه يحاول التأكيد على أبدية التوراة، فإنه يُفهَم من رأيه، أن التوراة قد لا تبقى إلى الأبد، أي يمكن استبدالها بأخرى، مثلما حدث مع شرائع سيدنا آدم ونوح عليهما السلام، من تغيير لشرائعهما، فضلاً عن تغيير بعض أحكامها وتبديلها، ومن ثم وصل تغيير الشرائع، إلى منح بني إسرائيل شريعة جديدة، وهذا من أبرز الأدلة على جواز نسخ التوراة اليهودية، بشريعة أخرى.

---

[١] שם, מאמר ג׳.

[٢] שם, מאמר ג׳, חלק א׳, כלל ח׳ פ״ג.

ثانيًا: رأي ابن ميمون

رغب قريسقس، في شرحه مسألة أبدية التوراة؛ في الابتعاد عن رأي ابن ميمون الوارد في "دلالة الحائرين"؛ الذي كتب يقول: "مما يجب أن تعلمه أيضًا أن الشريعة، لا تلتفت للشاذ، ولا يكون التشريع بحسب الأمر الأقل، بل كل ما يراد تحصيله من رأي، أو خُلُق أو عمل نافع، إنما يقصد به الأمور الأكثرية. ولا يلتفت للأمر القليل الوقوع، أو لأذية تقع لواحد من الناس، من أجل التدبير، والتدبير الشرعي؛ لأن الشريعة أمر إلهي، ولك أن تُعبِّر بالأمور الطبيعية التي توجد بها المنفعة العامة ... كما بان من كلامنا، وكلام غيرنا. وبحسب هذا الاعتبار أيضًا، لا تعجب من كون قصد الشريعة، لا يتم في كل شخص وشخص، بل يلزم ضرورة وجود أشخاص، لا يكمّلهم ذلك التدبير الشرعي، لأن الصور الطبيعية النوعية، لا يحصل كل ما يلزم عنها في كل شخص وشخص، لأن الكل من إله واحد وفاعل واحد، كما ورد في التوراة[1]، وخلاف هذا ممتنع، وقد بينا أن للممتنع طبيعة ثابتة، لا تتغير أبدًا، وبحسب هذا الاعتبار أيضًا، لا يمكن أن تكون الشرائع مقيدة، بحسب اختلاف حالات الأشخاص، والأزمان، شبه العلاج الطبي الذي يخص علاج كل شخص بحسب مزاجه الحاضر، بل ينبغي أن يكون التدبير الشرعي، مطلقًا عامًا للكل. وإن كان ذلك لازمًا في حق أشخاص، وفي حق آخرين لا يلزم، لأنه لو كان بحسب الأشخاص، لوقع الفساد للكل، وأعطيت شئونك للاختلافات، ومن أجل هذا؛ لا ينبغي أن تُقيد الأمور المقصودة من الشريعة، لا بزمان، وبمكان، بل تكون الأحكام مطلقة عامة، كما نصت

---

[1] الجامعة ١٢/١١.

التوراة[١]، لكن يلحظ فيها المصالح العامة الأكثرية، كما بينا، وبعد تقديمي لهذه المقدمات، آخذ في تبيين ما قصدت تبيينه"[٢].

ومن غير المحتمل أن تكون الوصايا قد سُجلت وفقًا للتغيرات البشرية والأزمنة، مثل تركيبة دواء حيث تُخصص التركيبة لكل إنسان حسب مزاجه في نفس الوقت، بل ينبغي أن يكون السلوك التوراتي مُطلقًا عامًا للجميع، وعلى الرغم من أن هذا أمر إيجابي فيما يتعلق بالأشخاص، وفيما يتعلق بالآخرين فليس إيجابيًا، لأنه لو كان حسب الأفراد لكان هناك خسارة للجميع، وأعطت كلماتك دروسًا. ويرى ابن ميمون أن التوراة بمثابة دستور وشريعة عامّة لعامّة الناس، وبكونها شريعة وتشريعًا عامًا فهى تنظر إلى مصالح العامة، مراعية الأغلبية وليس الأقلية، وبالفعل قد يكون هناك أشخاص استثنائيون، لا يوصلهم القانون التوراتي لدرجة الكمال، ويُلزم أيضًا هذا الافتراض بعمومية قانون التوراة، معيار واحد من القانون العام، فالتشريع التوراتي ليس وصفة طبية مُعدة حسب الاحتياج الشخصي للفرد، لكنها "تشريع واحد لبني إسرائيل" ولا تخضع فقراتها للفرضيات، لكنها أحكام مُلزِمة. وذلك كما ورد: ״תּוֹרָה אַחַת וּמִשְׁפָּט אֶחָד, יִהְיֶה לָכֶם, וְלַגֵּר, הַגָּר אִתְּכֶם״[٣]. شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ الساكن عِنْدَكُمْ».

وقد أنعم يوسف ألبو النظر فى كلام أستاذيه؛ ابن ميمون وقريسقس؛ فاستشف أن قريسقس لم يوضح قاعدة تُفسر التغييرات التي طرأت على توراة الإنسان الأول "آدم" عليه السلام، حتى توراة نوح، فتغيرت الشرائع، وصولاً

---

[١] العدد ١٥/١٥.

[٢] يُنظَر: دلالة الحائرين، ٣/٣٤، ص ٦٠٥-٦٠٦.

[٣] במדבר טו טז.

لتوراة يعقوب (إسرائيل)، ولذلك فهذا دليل بيِّن أن التوراة تتغير وفق المتلقين[١].

يتبين مما سبق؛ أن ألبو قرأ كلام مُعلمه ابن ميمون؛ ففهم منه؛ أن الدواء يتغير وفق طبيعة المرض، ومتلقي العلاج، لذلك فإن الشرائع الإلهية تتبدل، وفق تغير المتلقين، ومن ثم فقد كمن في رأي ابن ميمون القول بعدم أبدية التوراة، فبنى ألبو رأيه عليه؛ قائلاً بجواز نسخ التوراة، وعدم أبديتها.

ثالثًا: رأي يتسحاق أبربنيئيل

أدلى الحاخام "يتسحاق أبربنيئيل" بدلوه في هذه المسألة فقال: إن شريعتي آدم ونوح عليهما السلام، رغم كونهما إلهيتين، لكنهما لا يصلان بالنفس الإنسانية إلى درجة الكمال[٢]، ويضيف "أبربنيئيل" قائلاً: كانت شريعتا آدم ونوح؛ شريعتين، هدفهما الأساسي؛ الحفاظ على الجنس البشري، وذلك وفق الضرورة في ذلك الزمان لمثل هذه الشرائع، ولذلك يمكن القول إنهما بمثابة مبررات وتمهيد للشرائع التالية لهما، وتمثل ذلك في شريعة موسى عليه السلام، التي من شأنها أن توصل الإنسان إلى الكمال، لأنها غذاء روحي للنفس، فتمنح الحياة للنفس البشرية، كما تنقذها من الموت الأبدي، وبمعنى آخر، فإن وصايا بني نوح السبع، ليست إلا في إطار الدين التبريري[٣]، يكون هدفها تثقيف الإنسان وتعليمه، لكي لا يصاب الجنس البشري بالهلاك.

---

[١] יוסף אלבו, ספר העיקרים, א׳ ז ח.

[٢] יצחק אברבנאל: ראש אמנה, ווארשא, 1881, פ י״ג.

[٣] שם שם.

لماذا لا نأخذ وصفة الدواء كمثال على التوراة، وليس حسب رأي ابن ميمون، وكما قال الحكماء إن التوراة هي دواء الحياة لجميع الأعضاء، كلام التوراة دواء للعين، علاج للقلب، وكأس رئيس للأمعاء[١]، حيث ورد: لأَنَّهَا هِيَ حَيَاةٌ لِلَّذِينَ يَجِدُونَهَا، وَدَوَاءٌ لِكُلِّ الْجَسَدِ"[٢]، ولا يُقصَد أن الدواء يصلح لكل من الرجال والنساء، والأطفال فى جميع الأزمنة، والأماكن[٣].

بناء على رأي "أبربنيئيل"؛ نرى أن شريعتي آدم ونوح عليهما السلام، لم يصلا بالإنسان إلى حد الكمال، لذلك كان من الضروري، استبدالهما بشريعة جديدة، تمثلت في شريعة بني إسرائيل، وهي التوراة، وإذا كان هذا رأي اليهود؛ فأرى أن التوراة الموسوية المحرفة، قد تصل بالإنسان إلى الهلاك، لذلك كان من الضروري استبدالها.

---

[١] קידושין ל עב

[٢] الأمثال ٤/٢٢.

[٣] יוסף אלבו, ספר העיקרים, ג׳ יג.

المبحث الرابع: التغييرات التشريعية دليل على جواز النسخ

يرى يوسف ألبو، إمكانية استبدال التوراة الإلهية بأخرى، وذلك وفق تغيُّر المُتلقين، ويستشهد ألبو بتغييرين تشريعيين حدثا، بعد نزول التوراة؛ حساب شهور السنة، بداية من نيسان، وتغيير الكتابة؛ وهذا ما سأتناوله، كما يلي:

أولاً: حساب الشهور من نيسان

ورد في التوراة: "הַחֹדֶשׁ הַזֶּה לָכֶם, רֹאשׁ חֳדָשִׁים: רִאשׁוֹן הוּא לָכֶם, לְחָדְשֵׁי הַשָּׁנָה"[1]. "هذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ". فمغزى هذا النص التوراتي؛ أن يتم احتساب الأشهر، بداية من شهر نيسان، فيكون هو الشهر الأول، حتى يتم عدّ شهر آخر يكون اسمه على اسم شهر نيسان، ويأتي في التقويم العبري تحت نفس المسمى، كأن يُسمى نيسان الثاني، فعندما كان بنو إسرائيل في بابل؛ بدأوا في هذا العدّ، مستندين في ذلك إلى ما ورد في التلمود الفلسطيني؛ أن أسماء الأشهر، نُقلت معهم من بابل[2]، وقد توصل ألبو من خلال هذا التغيير؛ أن ما حدث بمثابة تغيير للوصية التوراتية[3].

أُطلق قديمًا على الأشهر العبرية، أسماء عددية ترتيبية؛ عددها اثنا عشر شهرًا؛ تبدأ بالشهر الأول، الذي يقابل نيسان، وتنتهي بالشهر الثاني عشر، الذي يقابل أذار. وقد ورد في التناخ، أن الشهر الذي خرج فيه بنو إسرائيل من مصر؛ هو الشهر الأول، سفر الخروج ٢/١٢. ثم تم تغيير أسماء

---

(١) שמות יב ב.

(٢) תלמוד ירושלמי, ראש השנה, פ"א ה"ב

(٣) יוסף אלבו, ספר העיקרים, ג' יג.

الأشهر العبرية، التي تُستعمَل الآن، في التقويم العبري؛ حيث أُطلق عليها أسماء بابلية، وهي الأسماء التي رافقت اليهود أثناء السبي البابلي، وذلك مثلما ورد في التلمود[١]، ولذلك يُسمى الشهر الذي خرج فيه بنو إسرائيل من مصر؛ في التوراة[٢]، باسم الشهر الأول، ويُسمى الآن؛ نيسان، كما وردت أسماء الأشهر ترتيبية، في سفر اللاويين[٣]، وذلك لأن البابليين، أطلقوا على اسم الشهر الأول من أشهر السنة؛ مسمى نيسان أيضًا، وأسماء الأشهر عندهم، هي: נִיסַנֻ, אַרֻ, סִמַנֻ ,דֻּמֻזֻ, אַבֻּ, אֻלֻלֻ, תַּשְׁרִתֻּם, סַמְנֻ, כִּסְלִמֻ, טֶבֶּתֻּם ,שַׁבַּטֻ, אַדַּרֻ וחודש נוסף בשנה מעוברת, מַכַּרֻשַׁ אַדַּר. فتأثر اليهود بتلك التسميات؛ ولذلك حدث تغير لمسميات الشهور، عند اليهود من ترتيبية إلى مسميات؛ هي: تِشْرِي תִּשְׁרֵי، حِشْوان חֶשְׁוָן، كِسْلِو כִּסְלֵו، طِيبِيت טֵבֵת، شبَاط שְׁבָט، أَذَارُ الأَوَّل אֲדָר א׳، أَذّار אֲדָר، نِيسَان נִיסָן، إِيَّار אִיָּר، سِيوَان סִיוָן، تَمُّوز תַּמּוּז، آب אָב، أَيْلُول אֱלוּל؛ وأصبحت متداولة منذ أن تأثر اليهود بالبابليين، حتى وقتنا الحالي، ويؤيد هذا؛ أن الأسماء الجديدة لأشهر السنة العبرية، لم تُذكر في الأسفار الخمسة –الجزء الأول من التناخ– بيد أنها ذُكرت في الجزءين الثاني والثالث من أسفار التناخ –الأنبياء والمكتوبات– مثلما ورد في أسفار: زكريا، وإستير، وعزرا، ونحميا، ومما يميز الإشارة إلى أسماء هذه الأشهر، أن القاصّ يذكر ترتيب الشهر، وفق العدّ القديم للأشهر، ثم يذكر في ذات الوقت، المسمى الجديد[٤]، مثلما ورد: "בַּחֹדֶשׁ הָרִאשׁוֹן, הוּא-חֹדֶשׁ נִיסָן, בִּשְׁנַת שְׁתֵּים עֶשְׂרֵה, לַמֶּלֶךְ אֲחַשְׁוֵרוֹשׁ׃ הִפִּיל פּוּר הוּא הַגּוֹרָל לִפְנֵי הָמָן, מִיּוֹם לְיוֹם

---

[١] תלמוד ירושלמי, מסכת ראש השנה, פרק א׳, הלכה ב׳.

[٢] الخروج ٢/١٢.

[٣] اللاويين ٢٦،٢٣،٢٧،٣٢/٢٣.

[٤] عزرا ١٥/٦، نحميا ١/١، نحميا ١٥/٦، إستير ١٦/٢، إستير ٩/٨، زكريا ٧/١.

וּמֵחֹדֶשׁ לְחֹדֶשׁ שְׁנֵים-עָשָׂר--הוּא-חֹדֶשׁ אֲדָר"[1]. "فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، أَيْ شَهْرِ نِيسَانَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَةَ لِلْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ، كَانُوا يُلْقُونَ فُورًا، أَيْ قُرْعَةً، أَمَامَ هَامَانَ، مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ، وَمِنْ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ، إِلَى الثَّانِي عَشَرَ، أَيْ شَهْرِ أَذَارَ".

إن سبب حساب الشهور في التوراة، ابتداءً من شهر نيسان؛ ذكرى خلاص بني إسرائيل، من بطش فرعون، وخروجهم من شبه جزيرة سيناء، لأن الشهور ليس لها أسماء فى أحكام التوراة، لكن تُفضل التوراة الموسوية، تسمية الشهور، بالترتيبية: الشهر الأول، الشهر الثاني ...إلخ، فشهر نيسان هو ذكرى الخروج من مصر، وهذا ما نصت الشريعة عليه[2]، أي عند حساب الشهور؛ احسبوا الشهور من نيسان، وعندما هاجر بنو إسرائيل من بابل، رأوا أن يحيوا ذكرى للخلاص الثاني "وذلك الذى اصطلحوا على احتساب عدد الشهور من نيسان كما كان معتادًا احتساب ذكرى الخروج من مصر، وعادوا لاحتساب عدد آخر للشهور، وهذا ما قاله حكماء اليهود: نُقلت أسماء الشهور مع بني إسرائيل من أشور، أي أنهم كانوا يعدون الشهور بأسمائهم تشري حشوان كسليو، كما اعتادوا فى أشور، ذكرى الخلاص الثاني، وليس ثاني ثالث رابع كما كان في البداية.

مما سبق؛ يتبين أنه أُطلق قديمًا على الأشهر العبرية، أسماء عددية ترتيبية، تبدأ بالشهر الأول، الذي يقابل نيسان، وتنتهي بالشهر الثاني عشر، الذي يقابل أذار. وقد ورد في التناخ، أن الشهر الذي خرج فيه بنو إسرائيل من مصر؛ هو الشهر الأول، سفر الخروج ٢/١٢. ثم تم تغيير أسماء الأشهر

(1) אסתר, ג, ז.
(2) الخروج ٢/١٢.

العبرية، التي تُستعمل الآن، في التقويم العبري؛ حيث أُطلق عليها أسماء بابلية، وهي الأسماء التي رافقت اليهود في السبي البابلي[١].

يوضح ألبو سبب هذا التغيير فيقول: "لأنهم فهموا أن وصية احتساب الشهور كانت وقتية، طالما استمر هذا الخلاص، لكن بعد أن نُفوا ثانية وتم خلاصهم من هناك بأمر من إرميا: "لم يعد يقول حي هو الإله الذي أخرج بني إسرائيل من أرض مصر، لكن قالوا: حي الإله الذي أخرج وأتى بنسل إسرئيل من أرض الشمال، ولذلك رأوا ترك الحساب الأول الذي كان ذكرى الخروج من مصر، وعادوا لاحتساب عدد آخر لشهور السنة، وأبقوا على أسماء الشهور التي جاءت معهم من أشور، لتكون بمثابة ذكرى للخلاص الثاني[٢].

يرى ألبو، أن هذا التغيير في تسمية الشهور؛ يُعدُّ نسخًا لأحكام التوراة، لورود ما يدل على أن الأشهر كانت ترتيبية في التوراة نفسها، أما تغيير مسمياتها بحجة السبي؛ فلا يعترف به ألبو، ويقول إن هذا نسخ للشريعة.

وقد ردّ "يهودا بن بتسلائيل" على ألبو؛ بقوله: عندما تُعدُ الشهور ترتيبيًا؛ الشهر الأول، والشهر الثاني، والشهر الثالث...إلخ؛ فهذا بمثابة تشريع، فقد يُقال إن فلانًا اقترض قرضًا في شهر كسليو، سنة كذا وكذا، فينطوي على اختلاف التسميتين؛ البلبلة في حساب الأشهر، وعدم سداد الدين، وهذا الرأي

---

[١] תלמוד ירושלמי, מסכת ראש השנה, פרק א', הלכה ב'.

[٢] יוסף אלבו, ספר העיקרים, ג' יג.

يتناقض مع رأي ألبو، الذي قال إن عدَّ الشهور من شهر نيسان؛ وصية إلهية، تم نسخها(١).

ثانيًا: تغيير الكتابة واللغة

العبرية إحدى اللغات السامية، التي دوِّن بها، جُلّ أسفار "المقرا"، ولم تكُن تُسمى باللغة العبرية، في فترة المقرا، وفي حقيقة الأمر، فنحن لا نعرف مُسماها الحقيقي، لدى من يتحدثونها حينئذ، وفيما يتعلق بالوثائق، التي ورد فيها الإشارة إلى اللغة العبرية، فيرجع تاريخها إلى نهاية مملكة "يهوذا"، وذلك كما ورد في المقرا: מל״ב יח, כו, כח – ישׁ׳ לו, יא, יג، حيث وردت بمُسمى "اللغة اليهودية"، وذلك في مقابل الأرامية، لكن من الصعب أن نفترض أن تلك التسمية للغة العبرية، كان الاسم العام في تلك الآونة، وخاصة في الفترة التي استُعملت فيها، في مملكة إسرائيل(٢).

فيما يتعلق بمسألة تغيير الكتابة؛ فهذا الخط الأشوري؛ خط مقدس في الألواح، ولم نر أبدًا هذا الخط إلا في الألواح، لكن اللغة المقدسة كانت معروفة بالفعل لآباء بني إسرائيل وأبنائهم، قبل نزول التوراة، وتحدث بها يهوه إلى أنبيائه، وعلى الرغم من تمام تلك الكتابة وقدسيتها؛ لم يكتبوا بها حينئذ؛ حتى في الكتب التي يكتبها الملك، لكن كان يكتب بها كل شخص لنفسه، حيث كانوا يكتبونها بالخط العبري... وعندما نُفُوا إلى أشور وعرف شعب أشور هذه الكتابة، أخذها عنهم، أو أنها كانت لديهم مسبقًا حيث عرفوها من النصوص المقدسة، بجانب الكتابة التي أجادوا استعمالها، فاستعمل بنو

---

(١) יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, פרק סד.

(٢) א.שב: האנציקלופדיה העברית, חברה להוצאת אנציקלופדיות, ירושלים ותל אביב, תשכ״ט, עמ׳ 51.

إسرائيل مع الأشوريين، ما عرفوه من النصوص المقدسة، فضلاً عن لغة الأشوريين، وهذا بالنسبة لمن هاجر لأشور، وفي أيام عزرا سُمح لهم بكتابة كتاب التوراة وبقية كتاباتهم. واستنادًا إلى ذلك؛ فإن التغيير الذي أحدثه عزرا؛ في خط كتابة أسفار التوراة بالخط المُقدس؛ لا يُعدُّ تغييرًا في الشريعة، حيث كان هذا الخط معروفًا، ومن أبرز الأدلة على صحة هذا الأمر؛ تدوين ألواح العهد به[١].

أسهب يوسف ألبو[٢]؛ في مسألة إلغاء بعض الوصايا مستقبلاً؛ حيث يرى أنه كما حدث تغيير في الكتابة؛ يمكن أن تُلْغى وصية واحدة، ففي باديء الأمر، كانت النصوص المقدسة للتوراة؛ مدونة بالخط العبري، أي النصوص التي تلقاها موسى من يهوه، ثم تغيرت إلى اللغة الأشورية، وهذا يُعدُّ نسخًا في نصوص التوراة، ولذلك من غير المُستَبعَد أن تُلْغى بعض الوصايا مستقبلاً، مثلما كان تناول اللحم الذي تشتهيه أنفس بني إسرائيل؛ كان مُحرمًا عليهم، أثناء تواجدهم في الصحراء، بخلاف المَنّ، بيد أنه أصبح حلالاً بعد دخولهم أرض فلسطين، وذلك وفقما ورد في التوراة، حيث وعدهم الله بزيادة تخم بني إسرائيل، فضلاً عن تحليل تناول اللحم؛ التثنية ١٢/٢٠. وقيل إن المقصود باللحوم التي كانت محرمة عليهم؛ لحوم القرابين، أما بقية اللحوم الأخرى فكان يجوز تناولها[٣]، لكنه أصبح حلالاً فيما بعد. وحيث إن اللحوم أصبحت حلالاً لبني إسرائيل بعد دخولهم الأرض، في فترة ما، بعدما كانت محرمة عليهم في الصحراء؛ فكذلك الحال، بالنسبة للوصية، بأن التوراة كانت

---

[١] יצחק מאיר אלטר, חידושי הריטבא, ירושלים, תשלו, עמ׳ 24.

[٢] ספר העיקרים, מאמר ג פרק טז.

[٣] רמב״ם הלכות שחיטה פרק ד הלכה יז; חולין טז,ב-יז,א.

مدونة باللغة العبرية، طوال فترة وجودهم على الأرض، ولا يجوز القول بإلغائها مستقبلاً، ولذلك فإن رأي "يوسف ألبو"؛ غير حقيقي[١].

تغيير آخر صنعه اليهود، ذكرى للخلاص الثاني: "حيث تخلوا عن الكتابة العبرية واختاروا، الأشورية، ذكرى نفيهم لأشور ثم خلاصهم من هناك. ويختتم ألبو رأيه بقوله، إنه لا يرى دليلاً ولا ضرورة إلى وجود أصل فى حد ذاته للتوراة الإلهية بوجه عام أو توراة موسى بوجه خاص، يفيد أن التوراة لا تُنسخ ولا تتبدل؛ مستندًا في ذلك إلى الأراء التى كتبها ابن ميمون ومُعلمه قريسقس، بأن هذا ليس أصل شريعة موسى –عليه السلام– ولا أساسها، لكن قال إن هذه عقيدة ينبغي أن يصدق بها كل من ينتمي إلى الشريعة الموسوية[٢].

قد يصعب على الباحث في هذه المسألة؛ أذلك حدوث تغيير للكتابة؛ أي أن الكتابة ستتغير عما كانت عليه من قبل؛ أرى أن كل شيء يطرأ عليه تجديد، وفق تغير الزمان والمكان؛ لذلك فإن تغيير الكتابة؛ لملاءمة الزمان والمكان، الذي تواجد فيه بنو إسرائيل [يقصد بابل أو أرض فلسطين أو أشور]. بيد أن اللغة، كانت اللغة المقدسة، وكانت خاصة ببني إسرائيل دون غيرهم من الشعوب. لكن الكتابة التي كانت في البداية، كانت خاصة ببني إسرائيل عندما كانوا في هذا المكان [يقصد أرض فلسطين أو بابل] في البداية، لكن بعدما سُبُوا إلى أشور، كان تغيير الكتابة ضروريًا؛ ليكون علامة على بداية جديدة لهم. ويدل ما حدث؛ على أن بني إسرائيل؛ تبوأوا مكانة عظيمة، حيث

---

[١] יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, ווארשא, 1871, פרק סד.

[٢] יוסף אלבו, ספר העיקרים, עמ׳ 148.

هيّأ الله لهم عزرا، لكي يكتب لهم بهذا النوع من الكتابة، على الرغم من أن لغتهم كانت في تلك الفترة هي اللغة الأرامية، ومن ثم فإن دلالة ما حدث؛ عميقة، ويمكن القول إن ما حدث ليس تغييرًا، ولكنه تطور ضروري، وفقما تقتضيه الحال[١].

وقد رد بالفعل على يتسحاق أبربنيئيل، ويعقوب بن حبيب، ويهوذا بن بتسلئيل، بقولهم إن قراءة أسماء أشهر السنة لا تُعدُّ تغييرا في العد، فعدُّ الشهور، يكون وفق الخلاص من مصر، ويعدونها من نيسان، وقد أُعطيت لهم تلك الأسماء، أي أن العدّ الترتيبي القديم للأشهر، التي قال لهم يهوه في شأنها: في هذا الشهر هي لكم رأس الشهور؛ لم يتغير، لكن نيسان هو اسم "الشهر الأول"، آيار اسم "الشهر الثاني"، سيفان اسم "الشهر الثالث" وهكذا، ولا يوجد تغيير هنا على الإطلاق[٢]، ويتفق هذا الرأي، مع رأي "موسى بن نحمان"، في تفسيره للتوراة، وذلك على خلاف رأي "يوسف ألبو".[٣]

وقد ردوا أيضًا على رأيه، في مسألة تغيير النص المكتوب؛ بأنه هراء ويحتاج إلى كفارة على هذا الكلام، ولم أجد كلاما غريبا مثل هذا، حيث يقول إن وصية التوراة ستذهب سدى، وتتبدل بغيرها، وما ورد في هذا الشأن، كان في بداية الأمر، فلم تكن الوصية مؤقتة بوقت معين، طالما أن بني إسرائيل لم يُنْفوا حينئذ، وقيل بسبب تحريم لحم الطعام عليهم، في الصحراء، ثم حُلِّل لهم فيما بعد.

---

[١] יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, ווארשא, 1871, פרק סד.

[٢] יצחק אברבנאל: ראש אמנה, פ י״ג.

[٣] משה בן נחמן, פירוש רמב״ן על התורה, ניו יארק, 1959, שמות יב, ב; משה בן נחמן, פירוש התורה, ירושלים, תשי״ט, כרך א׳, עמ׳ 212.

وقيل في هذا: وصية واحدة باطلة. هذا الأمر لا يمكن أن يكون على الإطلاق، لكنه يسري فقط إن كانت هذه الوصية من بداية الأمر بها، لأن جميع أيام بقائهم في الصحراء؛ حُرم عليهم تناول اللحم. وشُرعت هذه الوصية حيث كانت التوراة مكتوبة بخط عبري، خلال زمن مكوثهم على الأرض كانت الكتابة بخط عبري، لذلك فرأي "يوسف ألبو" لا معنى له، أي أنه لم يحدث تغيير، ولأنه من البداية لم تكن الكتابة العبرية إلا لفترة معينة فقط[١].

ثم عاد ألبو وعدل عن آرائه حول التغييرات في الشريعة، أي استقر عليها حسب طريقته، لكن سياق تفسيره مبهم، حيث قال: "ربما يكون سبب طاعة الإسرائيليين لإرميا، هو إلغاء احتساب الشهور من نيسان كما قلنا، أو ربما فعلوا ذلك بسبب أنهم استندوا في عملهم إلى تفسير آية من التناخ، كما كتبوا الإضافات (الحواشي) في الفصل الأول من سفر إستير، لأن ما غيره عزرا من الكتابة (الأحرف المكتوبة) عندما عاد من الشتات، كان بسبب تفسيره لفقرة من التناخ، وكتب له هذه التوراة، كتابة المستقبل، للتغيير، أو ربما كانوا قد أطاعوا إرمياء، لأن وصيته لا تتعلق بأي من الوصايا العشر، أو لأنه لم تكن هناك نية لإلغاء أي من الوصايا الموسوية، ولكن لإحياء ذكرى الفداء الثاني أثناء إحياء ذكرى الوصايا الأولى، لأن لديهم تقليدًا بضرورة إحياء ذكرى ذلك، بشرط عدم تجاهل الهجرة الجماعية من مصر.

إذًا فعل عزرا ذلك لأنه وجد في التناخ مصدرًا لهذا التغيير، فهذا تغيير في التوراة، لأن التوراة ذاتها تدلنا على هذا التغيير؛ لذلك لم تأت تسمية

---

[١] חננאל בר חושיאל, תפארת ישראל, ויניציאה, 1599, עמ׳ 496.

أسماء الشهور لإلغاء العدّ، إحياءً للخلاص من مصر؛ إنما لجعله ذكرى للخلاص الثاني، لذلك لا يوجد هُنا تغيير على الإطلاق.

تلقى موسى النبي عليه السلام؛ التوراة من الله، ليُعلمها إلى بني إسرائيل: וְאֹתִי צִוָּה יְהוָה, בָּעֵת הַהִוא, לְלַמֵּד אֶתְכֶם, חֻקִּים וּמִשְׁפָּטִים: לַעֲשֹׂתְכֶם אֹתָם--בָּאָרֶץ, אֲשֶׁר אַתֶּם עֹבְרִים שָׁמָּה לְרִשְׁתָּהּ"[١]. "وَإِيَّايَ أَمَرَ يهوه فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ فَرَائِضَ وَأَحْكَامًا لِكَيْ تَعْمَلُوهَا فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا ". وورد في سفر عزرا: כִּי עֶזְרָא הֵכִין לְבָבוֹ, לִדְרוֹשׁ אֶת-תּוֹרַת יְהוָה וְלַעֲשֹׂת, וּלְלַמֵּד בְּיִשְׂרָאֵל, חֹק וּמִשְׁפָּט"[٢]. لأَنَّ عزْرَا هَيَّأَ قَلْبَهُ لِطَلَبِ شَرِيعَةِ يهوه وَالْعَمَلِ بِهَا، وَلِيُعَلِّمَ إِسْرَائِيلَ فَرِيضَةً وَقَضَاءً.

قيل في تفسير هذه الفقرة: הצליח בדרכו שהרי עזרא הכין לבבו, נותן טעם לדבריו". نجح عزرا في سبيله، حيث إنه هيأ قلبه؛ مما أعطى كلامه مغزى. وعلى الرغم من أن التوراة، لم تنزل عليه، بيد أن طريقة الكتابة، هي التي غيرها[٣]، حيث ورد: "וּבִימֵי אַרְתַּחְשַׁשְׂתָּא, כָּתַב בִּשְׁלָם מִתְרְדָת טָבְאֵל וּשְׁאָר כְּנָוֺתָו, עַל-אַרְתַּחְשַׁשְׂתְּא, מֶלֶךְ פָּרָס; וּכְתָב, הַנִּשְׁתְּוָן, כָּתוּב אֲרָמִית, וּמְתֻרְגָּם אֲרָמִית"[٤]. ٧وَفِي أَيَّامِ أَرْتَحْشَسْتَا كَتَبَ بِشْلاَمُ وَمِثْرَدَاثُ وَطَبْئِيلُ وَسَائِرُ رُفَقَائِهِمْ إِلَى أَرْتَحْشَسْتَا مَلِكِ فَارِسَ. وَكِتَابَةُ الرِّسَالَةِ مَكْتُوبَةٌ بِالأَرَامِيَّةِ وَمُتَرْجَمَةٌ بِالأَرَامِيَّةِ.

كما ورد: "אֱדַיִן עללין "עָלִּין" כֹּל חַכִּימֵי מַלְכָּא וְלָא כָהֲלִין כְּתָבָא לְמִקְרֵא ופשרא "וּפִשְׁרֵהּ" לְהוֹדָעָה לְמַלְכָּא".[٥] ثُمَّ دَخَلَ كُلُّ حُكَمَاءِ الْمَلِكِ،

---

[١] דברים ד יד.

[٢] עזרא ז י.

[٣] תפארת ישראל, פרק סד.

[٤] עזרא ד ז.

[٥] דניאל ה ח.

فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَقْرَأُوا الْكِتَابَةَ، وَلاَ أَنْ يُعَرِّفُوا الْمَلِكَ بِتَفْسِيرِهَا. والسبب في تسمية تلك اللغة بالأشورية؛ أنها نُقلت معهم من "أشور"[١]. وقيل إن سب تسميتها بالأشورية؛ تدوين النصوص المقدسة بها[٢].

وقيل إن التوراة قد دُونت في الأصل باللغة المقدسة [العبرية]؛ لكن بعدما اقترف بنو إسرائيل الخطيئة [عبادة العجل الذهب]؛ صار الأمر عليهم وبالاً، حيث ورد: "שׁוּבוּ, לְבִצָּרוֹן, אֲסִירֵי, הַתִּקְוָה ; גַּם-הַיּוֹם, מַגִּיד מִשְׁנֶה אָשִׁיב לָךְ" [3]. ارْجِعُوا إِلَى الْحِصْنِ يَا أَسْرَى الرَّجَاءِ. الْيَوْمَ أَيْضًا أُصَرِّحُ أَنِّي أَرُدُّ عَلَيْكِ ضِعْفَيْنِ.

وفي باديء الأمر؛ أُعطيت التوراة "الشريعة" لبني إسرائيل، مدونة بالخط العبري، واللغة المقدسة، أي اللغة العبرية، ثم حدث أن تغير الأمر، في أيام "عزرا"؛ حيث نُقلت التوراة، أي أُعطيت لهم نسخة مدونة باللغة الأشورية، وباللغة الآرامية، ثم فسر الحاخامات ومن يجيدون اللغة الأشورية واللغة المقدسة؛ نصوص التوراة لبني إسرائيل، وشرحوها لهم بأسلوب بسيط، باللغة العبرية المقدسة، وباللغة الآرامية[٤].

كان عزرا؛ أجدر من نقل النص الأشوري، واللغة المقدسة، ولو لم ينقل موسى النبي؛ التوراة لبني إسرائيل، لكان عزرا قادرًا على نقل التوراة، إلى بني إسرائيل، وحيث إن موسى نقل التوراة لبني إسرائيل؛ لذلك كان دور عزرا؛

---

(١) שלום רוזנברג, לא בשמים היא, תורה שבעל פה, מסורת וחידוש, הוצאת מכללת הרצוג, ישראל, 2005, עמ׳ 28.

(٢) תפארת ישראל, פרק סד

(3) זכריה ט יב

(٤) יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, ווארשא, 1871, פרק סד.

نقل الخطّ الأشوري. لكن من الملعوم أن موسى عليه السلام، صعد على جبل سيناء، وتلقى التوراة، أما عزرا فقد هاجر من بابل، لينقل[١] التوراة[٢].

وقيل إن تغيير اللغة، لم يُحدث أي تغيير في نص التوراة الأصلي، وذلك استنادًا إلى قانون الواو التوراتي "וָוֵי"[٣]؛ وهو منهج مُتبع في تدوين نصوص التوراة؛ حيث تبدأ كل صفحات التوراة بحرف الواو، خلا بعض الصفحات المعدودة التي تبدأ بحروف أخرى[٤]. وقد وردت الإشارة إلى هذا الأمر، في التوراة، حيث ورد: וָוֵי הָעַמֻּדִים וַחֲשֻׁקֵיהֶם כָּסֶף[5]. رُزَزُ الأَعْمِدَةِ وَقُضْبَانُهَا مِنْ فِضَّةٍ.

وحيث إن المنهج المتبع الذي نصت عليه التوراة التي نزلت من عند الله؛ وهو القانون الواوي لم يتغير؛ فهذا بمثابة دليل على أن ما صنعه عزرا؛ لم يحدث تغييرًا في النص التوراتي المقدس[٦].

مما سبق؛ يتبين أن المصادر العبرية؛ ترى أن تغيير الكتابة؛ لم يحدث أي تغيير للنص التوراتي الذي أنزل من عند الله، وذلك لأن المنهج الواوري في التدوين لم يتغير.

---

(١) يقصد بنقل التوراة: إعطائها لبني إسرائيل.

(٢) סנהדרין דף כ״א ב

(٣) יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, פרק סד.

(٤) רמב״ם : משנה תורה הוא היד החזקה, הלכות תפילין ומזוזה וספר תורה, הוצאת ״ראשונים״ בע״מ, 1946, פרק ז׳, הלכה י׳.

(5) שמות, ל״ח, י׳.

(٦) יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, פרק סד.

أهم نتائج البحث

- إن التوراة أو الأسفار الخمسة، مؤلَّف عظيم، يشتمل إنتاجات كثيرة، جُمع محتواها خلال فترات مختلفة، فضلاً عن كونها ذات أهداف شتى، والمواءمة بين مكوناتها، وخاصة إبراز تفاصيل جمع محتواها؛ عملية تكتنفها صعوبات جمة. وبعد أن كانت التوراة، مجرد مصطلح جامع للأحكام، يعتريه بعض الغموض؛ أصبحت تشتمل مجموعة من القوانين المُلزِمة، لأنها نُقلت من قِبَل الإله؛ إلى موسى النبي مباشرة؛ ولذلك تُسمى التوراة؛ قانونًا إلهيًا، كما أنها أحد الكتب الإلهية المقدسة.
- مما لا مراء فيه؛ أن النسخة الأصلية للتوراة؛ مُقدسة ومن عند الله، وهي النسخة التي لم تمسها يد التحريف، وذلك لأن مسألة جمع نصوص التوراة؛ تمت خلال فترات مختلفة، وهذا من شأنه أن يجعلها عُرضة للتحريف، ومن ثم فإن نسخ التوراة، بكتاب سماوي آخر، أمر لا غبار عليه، بل مما تقتضيه مصلحة البشرية.
- لا يمكن لأحدُ أن يدعي أن نسخة التوراة الحالية، الموجودة بين يدي اليهود؛ كلام موسى أو كتبت جميعها بواسطته، ولا يمكن القول إنها، دُوِّنت قبل داود عليه السلام، لكن يمكن القول؛ إن كتابتها معاصرة له أو بعده، ويتجلى ذلك بوضوح؛ بأن كثيرًا من فقراتها تتكلم عن بني إسرائيل في زمن داود، وبعده، ولما كان الأمر كذلك؛ تبين أن نصوص التوراة متناقضة مع بعضها، ومع العقل.
- تبين وجود علاقة بين عدم النسخ، ومصطلح الأبدية، لذلك فإن تحريم نسخ النص، يترتب عليه أبديته.
- استعمل ألبو كلام مُعلميْه، فاقتبس من "قريسقس"، فيما يتعلق بالتغيير من توراة آدم لتوراة نوح ومنها لتوراة بني إسرائيل، ووضعه أساسًا لقبول

مبدأ "تغيير الشريعة، حسب المتلقين"، كما تبنى المثل الذي رفضه ابن ميمون، وشبه التوراة بوصفة دوائية تتغير طبقاً لحالة المريض، كما حاول أن يُفرق بين درجة التجلي للوصايا العشر وبقية التوراة، فقوبل رأيه بمعارضة ممن جاءوا بعده، الذين رأوا في منهجه انحرافاً عن طريق الفكر اليهودي المقبول.

- لم يقُل ألبو بعدم أبدية التوراة من تلقاء نفسه؛ لكنه بنى آراءه على آراء فلاسفة يهود آخرين؛ مثل قريسقس، وابن ميمون. وأرى أن رأي ألبو، على الرغم من تفسيره عن بعض فلاسفة اليهود؛ أنه يكمن فيه القول بعدم أبدية التوراة؛ إلا أنني أرى أن رأي "ألبو" بشأن تغيير الشريعة، استنادًا لتغيُّر الأُمة التي تتلقاها، وأن بعض الوصايا ستتغير في المستقبل، ويقصد بالوصايا؛ التوراة الموسوية؛ هو رأي سديد؛ ويُعدُّ من أوضح الأدلة، التي شهد بها واحد ممن ينتمون إلى الديانة اليهودية؛ على نفسه؛ ولذلك فالتوراة ليست أبدية، وفق رأي يوسف ألبو.
- لا يوجب ألبو؛ التصديق بالركن الخاص بأبدية التوراة؛ لاحتمال استبدالها بأخرى؛ لأنه يرى إذا كان هناك ركن؛ يوجب أبدية التوراة، فقد تُستَبدَل، وأرى أن هذا من شأنه أن يقوض الشريعة اليهودية عن بكرة أبيها.
- إن الدين عند الله الإسلام، وكتابه الحق؛ القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب السماوي الوحيد، الذي لم تمسه يد التحريف، وسيبقى إلى الأبد، وأنه قد نسخ بالفعل، جميع الكتب السماوية السابقة عليه، وذلك لما طرأ من تطور في أحكام الشرائع الإلهية، ومما اقتضه حكمة الله جلَّ وعلا.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس بمصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

المراجع العربية

- أبو محمد علي بن أحمد ... الأندلسي القرطبي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- السموءل بن يحي بن عباس المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ت.
- سعديا بن يوسف: كتاب الأمانات والاعتقادات، ليدن، هولاندا، ١٨٨٠م.
- عبدالرازق أحمد قنديل: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث بالقاهرة، بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط، ١٩٨٤م.
- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي: دلالة الحائرين، ترجمة: حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت
- نبيل فياض: رسالة اليمن، سوريا، ٢٠١٥م.

المصادر والمراجع العبرية والأجنبية

المصادر العبرية

- תורה נביאים וכתובים, החברה העברית, ניו יורק, 1942.
- תלמוד בבלי, מהדורת ווילנא, הוצאת שנת 5645 לבריאת עולם.
- תלמוד ירושלמי, מהדורת פיעטרקוב, אדר א' התשע"ד.

الموسوعات العبرية

- יעקב שלום ליכט, מיכאל פישביין: אנציקלופדיה מקראית, חלק ח, אוצר הידיעות על המקרא ותקופתו, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 1954.
- יצחק היינמן:אנציקלופדיה מקראית, אוצר הידיעות על המקרא ותקופתו, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 1954.
- א.שב: האנציקלופדיה העברית, חברה להוצאת אנציקלופדיות, תשכ"ח.
- ישעיהו ליבוביץ: האנציקלופדיה העברית, חברה להוצאת אנציקלופדיות, תשכ"ח.
- חנוך הויזדארף, אוצר ישראל, ניו יורק , תרע"ג.
- יהודה דוד אייזענשטיין: אוצר ישראל אנציקלופידיא, ניו יורק, תרע"ג.
- משרד התרבות והחינוך: עולם התנ"ך, הדפסה שישית, הוצאה לאור בע"מ, תל-אביב, 2002.
- שמואל אפרים ליונשטאם: אנציקלופדיה מקראית, אוצר הידיעות על המקרא ותקופתו, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 1954.

المراجع العبرية

- אלעזר שביד: בין משנת העיקרים של ר' יוסף אלבו למשנת העיקרים של הרמב"ם, תרביץ, תשרי, 1964.
- אליעזר שביד: ספר העיקרים לר' יוסף אלבו, ספריית 'דורות', ירושלים, 1967.
- אברהם זכות, ספר היוחסין השלם, מהד' פיליפובסקי, 1857.

- חננאל בר חושיאל, תפארת ישראל, ויניציאה, 1599.
- חסדאי קרשקש : אור השם, ספרי רמות, ירושלים, 1990.
- יהודה ליווא בן בצלאל, תפארת ישראל, ווארשא, 1871.
- יוסף אלבו : ספר העיקרים, ויניציאה, 1544.
- יצחק בער, היסטוריה של היהודים בספרד הנוצרית, מהדורה ב' מתוקנת ומורחבת, תל אביב : עם עובד, תשי"ט 1959.
- יצחק קליין ; ואלכסנדר איזק : הגותו של הרמב"ם על רקע ההגות הכללית והיהודית, הקדמה לספר המדע.
- יצחק איזק ואלכסנדר קליין : בנבכי התשובה, ביאור להלכות תשובה של הרמב"ם, מהדורה שנייהת, חברותא, ירושלים, 2011.
- יצחק בן יהודה אברבנאל, ראש אמנה, הקדמה, הוצאת תל-אביב, 1956.
- יצחק בן יהודה אברבנאל : ראש אמנה, ווארשא, 1881.
- יצחק בער, תולדות היהודים בספרד הנוצרית, מהדורה ב', תל אביב : עם עובד, 1959.
- י. גוטמן : דת ומדע, הוצאת הספרים ע"ש י.ל.מאגנס, ירושלים, תשט"ו.
- יצחק מאיר אלטר, חידושי הריטבא, ירושלים, תשל"ו.
- יוסף אלבו, ספר העיקרים, מהדורת י', הוזיק, פילדלפיה, 1929.
- מנחם קלנר, תורת העיקרים בפילוסופיה היהודית בימי הביניים, הוצאת הילל בן חיים, ירושלים, ישראל, 1991.
- משרד הבטחון, לקסיקון מן המסד ליהדות ולציונות, ההוצאה לאור, הדפסה שמונה עשרה, 2005.
- משה בן נחמן, פירוש רמב"ן על התורה, ניו יארק, 1959.
- משה בן נחמן, פירוש התורה, ירושלים, תשי"ט.
- רמב"ם, הלכות יסודי התורה ט א; יהודה ליואי בן בצלאל, תפארת ישראל, ויניציאה, 1599
- רמב"ם : משנה תורה הוא היד החזקה, הלכות תפילין ומזוזה וספר תורה, הוצאת "ראשונים" בע"מ, 1946.

- משרד התרבות והחינוך: עולם התנ״ך, הדפסה שישית, הוצאה לאור בע״מ, תל-אביב, 2002, פירוש ספר שמות.
- נחמה הירשנזון, אוצר ישראל אנציקלופידיא, ערך: לוי בן גרשון, ניו יורק, הובוקן, 1981.
- סלומון מונק, מדריך האבודים, פאריס, 1856.
- שלום רוזנברג, לא בשמים היא, תורה שבעל פה, מסורת וחידוש, הוצאת מכללת הרצוג, ישראל, 2005.

القواميس والمعاجم

- משרד הבטחון: לקסיקון מן המסד ליהדות ולציונות, ההוצאה לאור, הדפסה שמונה עשרה, 2005.

المراجع الأجنبية

- Sjimon den Hollander: Kitab al-Siradj; Chapter Heleq, Arabic-Hebrew, Transcription, editing and footnotes, The University of Manchester Library, 2013.